نشوان زيد علي عنتر

ظلام العنف

النبراس
للطباعة و النشر

النبراس
للطباعة و النشر

صنعاء

ظلام المنفى

(رواية)

بقلم :

نشوان زيد علي عنتر

١٩٩٤م

الفصل الأول

أبو ذر الغفاري

لم يتوقع مازن غافر هذا الكم الهائل من المنفيين من قبل سلطات بلدانهم الرسمية عقابا لهم على آرائهم الفكرية المعادية لهم عوضا عن السجن أو الإعدام رغم أن كلاهما يفوقان الأول قسوة و وحشية و يريحان صدور الحكام و ولاة الأمور من أعبائهم و مشاكلهم التي لا تنضب حسب زعمهم كما جرت عادتهم في سبيل ذلك قبل أن يكتشفوا خطأ إعتقادهم ذاك في العصر الراهن بعدما أدركوا لاحقا أن خطر نفيهم يسيئ إلى سلطاتهم الحاكمة لدى أصدقائهم و حلفائهم الأجانب بدلا من أن يفيدهم ، إلا أن حالات النفي بشقيه الجبري و الإختياري التي قام بدراستها دراسة مستفيضة أكدت له عكس تقديراته و تحليلاته العلمية لهذه الظاهرة التاريخية الفريدة من نوعها أثناء تناوله شخصية أبي ذر الغفاري أمام صديقه مارد الثورة في هذا المساء الشتائي الحار (ظن المنفيون في قرارة أنفسهم أن النفي أهون الشرين و أنه نعمة لا نقمة حيث ستجعلهم يعبرون عن أفكارهم و آرائهم و قناعاتهم بحرية تامة و تحقيق أحلامهم و طموحاتهم في أرض المهجر ما عجزوا عن القيام بهم مجتمعين داخل بلدانهم

الأصلية الطاردة لهم قبل أن يكتشفوا خطورتها الفادحة عليهم ، يكفي أنها وضعتهم في سجون مفتوحة عزلتهم عن أهاليهم و أوطانهم و ينقلبون عليهم و على أنفسهم أسوأ منقلب و يتبدلون على إثرها أسوأ تبديل عما كانوا عليه من قبل بملء إرادتهم ، و أولهم الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه الذي قابلته مجازا في منفاه الصحراوي الجاف بالقرب من الربذاء جنوب المدينة المنورة حيث سرعان ما تأقلم على جو المكان و بيئته القاحلة دون تذمر أو إستياء يذكر ، كيف و لا و هو المعتاد منذ نعومة أظافره على خشونة الصحراء القاسية حتى بعدما شب عن الطوق و مارس منذ الصغر قطع الطريق و السلب و النهب ضد القوافل التجارية القادمة من مكة إلى اليمن و العكس ليل نهار و بعد إعتناقه الإسلام كخامس شخص إتبع هداه المنير سرا في دار الأرقم بن أبي الأرقم قبل أن يكون أول شخص يجهر بإسلامه عند جوف الكعبة المشرفة في وضح النهار غير مكترث للأذى و القمع اللذين تعرض لهما من قبل كفار قريش صغيرهم و كبيرهم .

بعدما حييته بتحية الإسلام بإعتباره أول من حيا الناس بها من صحابة رسول الله (ص) رد علي بمثلها و رحب بي أيما ترحاب و إستضافني في خيمته المتواضعة بصدر رحب يثير

الشـــكوك ، فجلســـت علـــى بعـــد خطـــوات منـــه كـــيلا أثيـــر حفيظتـــه المتشـــددة حيـــال مظهـــري الغريـــب عنـــه و المغـــاير لزمنـــه الـــراهن قبـــل أفاجـــأ بتقديمـــه لـــي كوبـــا مـــن اللـــبن الرائـــب لنعجتـــه الهزيلـــة و رفيقـــة وحدتـــه القاتلـــة آنـــذاك ســـائلا إيـــاي بـــدون أيـــة مقـــدمات مـــا إذا كنت مسلما من عصر آخر أم لا ؟

ســـرعان مـــا تلعثمـــت فـــي الكـــلام و إرتبكـــت عنـــد ســـماعي لســـؤاله المباغـــت ذاك ! و مـــا زاد مـــن إرتبـــاكي و تلعثمـــي اللـــبن الـــذي تناولـــت منـــه رشـــفتين فقـــط لعـــدم قـــدرتي علـــى تحمـــل مـــذاق المـــر الذي لا يطاق قبل أن أرد عليه بالإيجاب (ببلى)

(أهذا الزمان الذي تنتمي إليه قبلنا أم بعدنا ؟)

(أتينا بعدكم بقرون طوال ، أنا من القرن العشرين)

(من أي الأمصار أنت ؟)

(من اليمن .....)

فجـــأة ، إحتضـــنني بحـــرارة إشـــتياق عاليـــة دون ســـابق إنـــذار (أهـــلا بخيار الناس و أبناء موطني الأصلي)

(أأأهلا)

سرعان مازالت دهشتي المتفاجئة بعدما ذكر إنتماؤه الحميم المبتذل لمسقط رأسي دون أن يزول ما تبقى من شكوك محفورة في ذاكرتي الفيلية حياله و لا سيما فيما يتعلق بهويته الحقيقية لما قبل إعتناق الإسلام ، فكما أسلفنا من قبل أنه كان قاطع طريق مارس السلب و النهب على القوافل القادمة من مكة المكرمة إلى اليمن و العكس بإعتباره فردا من عناصر قبيلة غفار اليمنية المتخصصة في قطع الطريق و اللصوصية و الغدر بالمسافرين الآمنين في أمان الله إذا أرادوا .

على الرغم من أن اليمنيين معتادون منذ فجر التاريخ حتى هذه اللحظة على السلب و النهب و قطع الطريق و الغدر و الخيانة و الجبن و النفاق في كافة أمور حياتهم اليومية في حال غياب الدولة عنهم و رفع عصاها الغليظة الشديدة الوطأة من فوق رؤوسهم ، إلا أن هذا الأمر لم يمنع من وجود قبائل يمنية متخصصة في هذا المضمار يكون شغلها الشاغل العيث في الأرض فسادا مقابل مبلغا من المال من قبل زبائنهم المتآمرين معهم أو نصيبهم الوافر من الغنائم و الأسلاب التي يغتنمونها من ضحاياهم القتلى و المخطوفين ..... و هلم جرا .

بـــدوري لـــم أشـــاركه حماســـته المفرطـــة نحـــو أبنـــاء جلدتـــه اليمنيـــين التـــي لا تعـــدو مجـــرد مجـــاملات ســـمجة تثيـــر للإشـــمئزاز مـــن قبـــل أنـــاس لا يـــذكرون أوطـــانهم إلا فـــي المناســـبات ، فضـــلا عـــن أن مـــا ســـبق يجـــرح شخصـــيته المبللـــة بالصـــدق و الصـــراحة لـــذا آثـــر تغييـــر الموضـــوع ليســـألني عـــن وضـــع الفقـــراء فـــي عصـــرنا الـــراهن هـــل تحســـن حـــالهم عمـــا مضـــى أم لا لأرد عليـــه بكلمـــة واحـــدة لخصـــت كـــل شـــئ و أصـــابته باليـــأس و الإحبـــاط الحـــاد (لا جديد)

(فعـــلام مجيئـــك إلـــي إذن ؟!! لتتفقـــد حـــالي فـــي هـــذا المنفـــى البـــائس أم لتشـــمت فينـــي لفشـــل تجربتـــي فـــي القضـــاء علـــى الفقـــر ؟!!!)

(معـــاذ الله أن أشـــمت فيـــك يـــا أبـــا ذر ، كـــل مـــا فـــي أن هنـــاك أشـــياء أخرى دفعتني لزيارتك ؟)

(مثل ماذا ؟)

(مثـــل خلافـــك مـــع الخليفـــة المحمـــدي عثمـــان بـــن عفـــان رضـــي الله عنـــه حـــول مـــنح أمـــوال الأغنيـــاء للفقـــراء بـــالقوة مـــا دفـــع الأخيـــر إلـــى نفيك إلى هذا المكان الحار)

(إنها قصة طويلة يا عزيزي لا تحتمل التأجيل)

(لا تحتمل التأجيل بالنسبة لمن ؟)

(لأي عابر سبيل يمر علي في منفاي البعيد هذا ليرويها لمن حوله عندما يعود إلى أهله نيابة عني)

بدأ يشرح لي كيف إنقلب هذا المنقلب الإشتراكي المخالف لعقيدته الإيمانية الصلبة و التي إهتزت بشدة إثر وفاة رسولنا الكريم (ص) كغيره من الصحابة الحزينين على رحيله عنهم حيث آثر الرحيل مباشرة إلى بادية الشام منعزلا هناك في منفاه الإختياري بإرادته تاركا زملاءه المهاجرين و الأنصار يتصارعون على عرش المحمدية بعد وفاة الصادق الأمين قبل أن يقع إختيارهم على أبوبكر الصديق رضي الله عنه كحل وسط عام ٦٣٢م ليجابه الأخير بمفرده الثورات الإنفصالية في اليمن و عمان و البحرين و السعودية و المعروفة بحروب الردة (٦٣٢-٦٣٣م) و مؤامرات الفرس و البيزنطيين ضد بلاده (٦٣٣-٦٤٦م) قبل أن تنتهي في عهد خلفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من خلال حملاته العسكرية ذات طابع ديني ضدهم في العراق و إيران و الشام و مصر و ليبيا و المعروفة بالفتوحات الإسلامية (٦٤٦-٦٥٦م) ..... الخ ، و عندما يقرر إقتحام العمل السياسي في المحمدية بعد إنقطاع دام ٢٤ عاما يبدأ بهذا ؟! مشاركة الفقراء أموال

الأغنياء بالقوة دون إنضباط ؟!! و في عهد من ؟!!! في عهد صهر رسولنا الكريم (ص) و زوج إبنتيه رقية و أم كلثوم و ثالث الخلفاء المحمديين عثمان بن عفان رضي الله عنه (٦٥٦-٦٦١م) ؟!!!

برر لي نهجه السياسي السالف الذكر في تحريض الفقراء ضد الأغنياء لإنتزاع أموالهم المستحقة منهم بقوة السلاح دون الإستعانة بمؤسسات الدولة الشرعية و أجهزتها الأمنية و القضائية بأن الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين خلقت مجتمعا من الفاسدين الجدد ماليا و إداريا و من بينهم المؤلفة قلوبهم داخل المحمدية و خارجها غارق ثقافة الثلاثي المرح الراسخ في عقلية الإنسان العربي و اليمني و الإفريقي على مر العصور (القبيلة و العقيدة و الغنيمة) بعدما كانوا حفاة عراة رعاة للمواشي الهزيلة و وسطاء تجاريين بين الدول المتصارعة في جوف الصحراء القاحلة التي رمالها الجرداء لا تبقي و لا تذر من النبات و الحيوان و البشر و صاروا لاحقا سادة العالم يتطاولون في البنيان و يملكون بلدانا بأكملها بأراضيها الخصبة و مياهها الوفيرة و ثرواتها الطبيعية و البشرية التي لا تنضب و هم كانوا من قبل لا يجرؤون على دخولها و لو على سبيل الإستجمام خوفا من بطش سادتها الفرس و

البيـــزنطيين و مـــن والاهـــم ، فضـــلا عـــن مـــد نفـــوذهم المستشـــري فـــي أجهـــزة الدولـــة المدنيـــة و العســـكرية كـــي يـــديروها كمـــا يحلـــو لهـــم وفقـــا لمصـــالحهم الخاصـــة و أهـــوائهم الشـــاذة مـــا تســـبب ذلـــك فـــي تعميـــق الهـــوة الســـحيقة علـــى غـــرار الـــنمط اليهـــودي بـــين الأغنيـــاء بشـــرائهم الفـــاحش و الفقـــراء بفقـــرهم المـــدقع أكثـــر مـــن ذي قبـــل رغـــم أنـــه كـــان يعلـــم علـــم اليقـــين بـــأن مـــا ســـبق ظهـــر مـــن قبـــل فـــي عهـــد رســـولنا الكـــريم (ص) و خلفتيـــه الصـــديق و الفـــاروق رضـــوان الله عليهمـــا ، فعلامـــا يلقـــي باللائمـــة علـــى ذي النـــورين رضي الله عنه و يحمله وحده مسئولية ما حدث ؟

حســـب مـــا فهمـــت مـــن معـــرض كلامـــه ردا علـــى ســـؤالي الملـــح بهـــذا الصـــدد بعـــدما إرتشـــف كوبـــا آخـــر مـــن لبنـــه الـــذي لا يطـــاق أن ســـر خلافـــه الحـــاد مـــع ذي النـــورين حـــول ذلـــك عائـــدا إلـــى أن الأخيـــر حســـب زعمـــه لـــم يكـــن جـــادا فـــي القضـــاء علـــى الفقـــر و البطالـــة و محاربـــة الفســـاد المـــالي و الإداري و عليـــة القـــوم الفاســـدين فـــي المجتمـــع المحمـــدي حيـــث تهـــاون مـــع الظلمـــة الفاســـدين مـــن أبنـــاء عشـــيرته الأقـــربين مـــن بنـــي أميـــة فـــي إســـتغلال مناصـــبهم القياديـــة بالدولـــة و نهـــبهم لأمـــوال الـــبلاد و العبـــاد العامـــة دون حياء أو خجل .

و من هذا المنطلق أدركت مليا أن السبب وراء خصومته العدائية لذي النورين نابعة من تصديقه الأعمى لصديقه الوفي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه و آرائه المسبقة حول أسلافه الراشدين حينما كان قاضيا للقضاة آنذاك دون تمحيص أو تدقيق لها ، سيما و أن ذو الفقار كان في حالة خصومة مكتومة معهم لأنهم سلبوه حقه الإلهي المزعوم في خلافة النبي عليه الصلاة و السلام في حكم المحمدية (وفقا لحديث يوم الغدير الموضوع) بإعتباره إبن عمه و صهره و زوج كبرى بناته فاطمة الزهراء و والد حفيديه الحسن و الحسين رضوان الله عليهم المقدسين لدى الشيعة ، فضلا عن إستخدام ذي النورين أجهزة الدولة الأمنية و القضائية في إحقاق الحق و مكافحة الفساد المالي و الإداري بدلا من التفتيش الميداني للخليفة و أعوانه على طريقة الفاروق رضي الله عنه ما يعني أن أبا ذر مثل غيره من العرب و اليمنيين لا يفقهون شيئا عن الدولة و دورها الأساسي في إدارة الشعوب بشكل سليم حيث مازال فهمهم السطحي لها يطغى على عقولهم الهمجية البسيطة ، و لو سلمنا جدلا أن ذي النورين قد أضحى فاسدا حتى النخاع إثر توليه الخلافة و هذا غير صحيح مئة بالمئة حيث لم يكن يخاف في الحق لومة لائم و

طبق القانون على الجميع بمن فيهم أقربائه الأمويين و على رأسهم والي الشام معاوية بن أبي سفيان بإستثناء شقيقه في الرضاعة و والي مصر و فاتح السودان خلال فترة حكمه عبدالله بن أبي السرح فهل هذا مبرر لنشر الفوضى و القلاقل في أرجاء المحمدية سعيا وراء الثورة ضد الأغنياء و الظالمين و الفاسدين و تطبيق شرع الله و قوانينه النافذة عليهم أمام الملأ دون محاكم أو شرطة و إجبار الأثرياء على قذف أموالهم أمام أقدام الفقراء و إزالة الفاسدين من الوجود حتى و لو أدى الأمر إلى إغراق البلاد في وحل الحرب الأهلية الطاحنة تحت راية ثورة شعبية غير مدروسة دفع ذي النورين ثمنها الباهظ عندما لقي مصرعه بطريقة بشعة يندى لها الجبين على يد من يزعمون أنهم ثوار أمام الملأ من سكان المدينة المنورة و على رأسهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه و ولديه الحسن و الحسين و الزبير بن العوام و طلحة بن عبيدالله و أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليهم و إبن عمه معاوية بن أبي سفيان الذين لم يحركوا ساكنا لإنقاذه و زوجته من هول المذبحة التي يشيب لها الولدان ليدفعوا ثمن تقاعسهم المشين ذاك بأن أشهروا سيوفهم ضد بعضهم البعض في موقعة الجمل و معركة صفين و الكوفة التي زرعت بذور

الفرقة و الشتات بين المحمديين خاصة و المسلمين عامة مجددا ..... و غيرها من الأحداث الجسام و الكوارث العظام التي لم يمد في عمره كي يشهدها بأم عينيه كي يدرك مليا فداحة ما إرتكبه نهجه الثوري الإشتراكي الشعبي من أخطاء جذرية حلت المشكلة بمشكلة أكبر ، سيما و أنه فكر بالفعل فقط متناسيا ردة الفعل الصادرة من خصومه الأغنياء و الفاسدين الذين لن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام ما يحاك من قبل الفقراء و المساكين الثائرين ضدهم حيث سيقلبون الطاولة على رؤوسهم رأسا على عقب دون رحمة أو شفقة ، فضلا عن عدم تفكيره في بطبيعة مجتمعه العربي و اليمني المتخلفة الذي لا يستخدم أفراده عقولهم في إبتكار الحلول السليمة لمشاكلهم اليومية صغيرها و كبيرها على حد سواء حيث يجرون وراء كل ناعق حتى و لو أدى نعيقه إلى هلاكهم المحتوم .

الفصل الثاني

رسولنا الكريم (ص)

عندما نتحدث عن الصادق الأمين (ص) و سيرته الفريدة من نوعها فعلينا توخي الحذر عند روايتها بالتفصيل الممل لما يحظى شخصه الكريم لدينا نحن المسلمين من قداسة مبالغ فيها إلى حد الألوهية و العياذ بالله بإعتباره حسب زعمنا آخر الأنبياء و دينه آخر الأديان على مر العصور رغم أننا نعلم علم اليقين بأن الأديان سماوية كانت أم وثنية لا ينقطع وجودها بظهور الإسلام فحسب حتى و لو كان أفضل دين في العالم ، بمعنى آخر الدين إختراع بشري بحت ولد مع ميلاد الحضارات الإنسانية الأولى في العراق و الشام و مصر لتنظيم العقيدة و المجتمع بما يتلاءم مع بيئته الجغرافية و خلفيته الروحية و مناخه الفكري و ليس مجرد وحي إلهي ينزل من السماء على أنبيائه الصالحين أو سلوك فطري راسخ لدى الإنسان منذ ولادته حتى مماته ، فلا غرو أن نجد بين ظهرانينا أديانا جديدة تولد من رحم ديننا الخاتم كالبهائية و البابية و القاديانية على يد أنبيائهم الجدد عباس عبدالبهاء و أحمد القادياني بحجة أن الأول لم يعد قادرا على تلبية إحتياجات أتباعه المسلمين بما يتلاءم مع متطلبات العصر

بشكل سليم جراء نهجه المتطرف الذي لا يطاق ، سيما و أن الإسلام أساسا ليس دينا بالمفهوم بل منهج توحيدي مبالغ فيه لأداء طقوس عبادة الله عز و جل بشكل سليم خال من الشوائب الوثنية و الشركية مطبق في الأديان الحنيفية و اليهودية و المسيحية و الإسلامية منذ عهد أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام ، و هذا ما حاول شرحه رسولنا الكريم (ص) شرحه لي أثناء زيارتي له في مثواه الأخير بقلب المسجد النبوي في المدينة المنورة رغم أنه يعلم جيدا أن هذا المنهج ملائكي بحت حتى النخاع و من المستحيل على البشر الإلتزام به حرفيا إلى الأبد مهما بلغت درجة إيمانهم العميق بالله عز و جل أعلى الدرجات ، لكن طبيعة المجتمع المكي العربي الذي ينتمي إليه و إعتزازه بسلالته العريقة أكثر من اللازم و تأثره بالديانتين اليهودية و المسيحية عن طريق صهره و إبن عم زوجته خديجة بنت خويلد ورقة بن نوفل و الديانة الزرادشتية خلال رحلاته التجارية إلى فارس و ظروف منفاه الإختياري في المدينة المنورة إثر هجرته النبوية إليها عام ٦٢٢م دفعته إلى تحويل هذا المنهج الناسكي الغير صالح للبشر إلى دين سماوي دون سابق إنذار بالرغم من محاولاته الحثيثة لجعل دينه الجديد الإسلام أكثر إعتدالا و واقعية و

تحكيما للعقل و المنطق من الأديان السماوية الأخرى بما يتلاءم مع طبيعة البشر و بيئاتهم الإجتماعية و ظروفهم الزمانية و المكانية المختلفة على مر العصور .

فمن المعروف عن نبينا الخاتم (ص) محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم أنه سليل سلالة مقدسة كريمة المحتد يتصل نسبها بزعيم العرب المستعربة سيدنا إسماعيل عليه السلام شقيق سيدنا إسحاق عليه السلام و إبن أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام العراقي الأصل رغم أن الدراسات التاريخية الحديثة أثبتت بالدليل القاطع إنتماؤه إلى قبيلة عادية موطنها الأصلي اليمن لا العراق إسمها قريش خلقت حولها بعض الأساطير و الخرافات الوهمية لتبرير إستيلائها الدموي لمكة المكرمة من مواطنيها الخزاعيين قبل قرنين من الزمان ، فضلا عن كونه حفيد حاكم مكة المكرمة و سيد قريش و سادن الكعبة المشرفة بلا منازع عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ..... الخ.

و مع ذلك لم يجد حسبه و نسبه الرفيع السالف الذكر نفعا في حياته اليومية لا من قريب أو من بعيد ، سيما بعدما ذاق مرارة اليتم و الفقر المدقع و العوز الشديد إثر وفاة والده عبدالله الذبيح بالحمى أثناء عودته من زيارة لأخواله بني عبد

النجار الخزرجيين في يثرب قبيل ولادته في عام الفيل حيث لم يجد أحد يعتني به و يرضعه من المرضعات القادمات من شعاب مكة و بواديها القاحلة بدلا من أمه المريضة آنذاك آمنة بنت وهب لأن جده المعظم فقير لا يملك من حطام الدنيا سوى ما يسد الرمق رغم رعايته للقوافل التجارية لمدينته المقدسة المنطلقة إلى أرجاء مقابل حصته من أرباحها السنوية و تباهيه بكرمه الحاتمي إلى حد الإسراف في إطعام ضيوفه من علية القوم و الفقراء و المساكين الغرباء و الأقرباء على حد سواء ، فضلا عن عدم تمكنه بسهولة من العثورعلى عمل يكسب من خلاله رزقه و هو الذي كان يمني نفسه بالحصول عليه على طبق من ذهب إعتمادا على مكانته السامية في المجتمع و لكن دون جدوى رغم أن عمه أبا لهب من أغنى أغنياء المدينة المقدسة لدى العرب و المسلمين على حد سواء بفضل مصاهرته لأقربائه الأعداء من بني أمية إلا أنه لم يساعده بشئ يذكر لا من قريب أو من بعيد ، و لقد تمخضت محاولاته العابثة عن وظيفة متواضعة لراعي أغنام في إحدى بوادي مكة مقابل أجر زهيد لا يسد الرمق ، حتى عمه الطيب أبا طالب الذي يعد نسخة طبق الأصل من جده عبدالمطلب في فقره و تباهيه بنسبه و كرمه و جوده الحاتمي إلى حد

الإسراف أسفرت جهوده المتواضعة عن عثوره لوظيفة وسيط تجاري بين القوافل المتجهة من مسقط رأسه إلى الشام و اليمن و العراق و فارس و مصر حيث فتحت له رحلاتها المكوكية آفاقا أرحب و أوسع للخروج من قوقعته المكية و التعرف على شعوب جديدة تفوق شعبه الهمجي تحضرا و تقدما في كافة المجالات و الإختلاط و إقتباس العديد من عاداتهم و تقاليدهم المفيدة و إدخالها إلى دينه الجديد كالركوع و السجود و الصلوات الخمس و دولة النظام و القانون و الدستور المأخوذة و الإعتدال من الفرس و المصريين و الصوم و الزكاة و تحريم واد البنات و المساواة بين الرجل و المرأة و دولة المؤسسات الديمقراطية من اليمنيين و الإنفتاح على الآخر و إستخدام العقل لإبتكار الحلول المناسبة لمشاكل البشر اليومية المأخوذة من العراقيين و مصحف سالوت أحد مصادر القرآن الكريم المأخوذ من الأحباش ..... و هلم جرا ، إضافة إلى أنها كانت وجه السعد عليه و عرفته بمصدر سعادته الأبدية رفيقة دربه و أولى أمهات المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها (إبنة عم صديقه الذي علمه أصول و تعاليم الديانتين اليهودية و المسيحية و كتابيهما المقدسين التوراة و الإنجيل رجل الدين

المسيحي ورقة بن نوفل) التي أحبها حب العبادة (رغم أنه تزوج عليها بعد وفاتها حشدا من النساء من كافة الأعراق و القبائل و بطريقة مخالفة لنظام تعدد الزوجات المعروف و المشكوك به في الإسلام و المحدد بأربع زوجات) و أنجب منها معظم أولاده و بناته و على رأسهم الأحب إلى قلبه على الإطلاق فاطمة الزهراء رضي الله عنها و الذي طغى حبه الشديد لها و ولديها الحسن و الحسين رضوان الله عليهما و سلالتهما المقدسة حسب زعم الشيعة على حبه لدينه الجديد و أتباعه المخلصين له وصل إلى حد تزويجها بإبن عمه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رغم أن هذا مخالف للشريعة الإسلامية ، بل فاق حبه للزهراء على حبه لشقيقتيها رقية و أم كلثوم رضوان الله عليهما وحبه الأثير لشقيقهن بالتبني قبل ولادتهن زيد بن حارثة رضي الله عنه و دفعه إلى إنتزاعه من براثن الرق في أسواق النخاسة بمسقط رأسه العراق و تبنيه ليكون قرة عين لوالديه الجديدين حيث ضحى بروحه و ماله من أجلهما في السراء و الضراء حتى إستشهاده في معركة مؤتة ضد الرومان عام ٦٢٨م .

و مع ذلك تجري الرياح بما لا تشتهي السفن حيث ما لبثت سعادته الغامرة التي ظفر بها بعد جهد جهيد أن تحولت إلى

أضغاث أحلام جرداء يحسبها الظمأن ماء بعد دعوة قومه إلى دينه الجديد و نهجه الوسطي المتحضر و المعتدل بالطرق السلمية حيث عانى الأمرين من ظلمهم و جورهم و قمعهم الوحشي الذي لا يطاق له و أتباعه الغرباء و الأقرباء على حد سواء و كل هذا لمجرد أن طالبهم بالتخلي عن عاداتهم و تقاليدهم الموروثة عن آبائهم و أجدادهم و المخالفة لدينه الإسلامي جملة و تفصيلا و من بينها الشرك بالله ، فظل شريدا طريدا من مكان لآخر جراء تمسكه بمعتقداته الجديدة حتى بعدما فقد زوجته خديجة و عمه أبا طالب خلال حصار قريش لبني هاشم عام ٦٢١م قبل أن يستقر به المقام في يثرب عند أخواله الخزرجيين و يعيد النظر فيهن بما يتناسب مع وضعه الراهن الذي أجبرته الظروف الطارئة عليه .

لقد علمته الإقامة الطويلة في منفاه اليثربي بأن الإسلام لو ظل على لغة التسامح و الإعتدال و التحضر و التمدن و النهج السلمي و العقلاني في تعامله مع الآخرين و لا سيما مع شعبه الهمجي المتوحش المتخلف الغبي فسيكون مصيره الفناء و الزوال لا محالة حسب زعمه ، لذا عليه أن يغير من أسلوبه هذا و يكون ذئبا متوحشا صعب المراس لا تجرؤ الذئاب على الإقتراب منه أو إيذائه و لو بشق تمرة حتى يظل على قيد

الحياة في طاحونتها الموحشة تلك ، لذا قرر أن يخلط الحابل و النابل في سبيل تحويله من دين معتدل متحضر سلمي منفتح ذو آفاق و رحاب أوسع إلى دين همجي منغلق متطرف عنيف أضيق من عنق الزجاجة حيث جعله نسخة طبق الأصل من الديانة اليهودية و لو بنسبة ٨٠ % و أضاف مبادئها المريضة إلى القرآن الكريم و السنة النبوية ، فبالرغم من عداوته الشديدة لليهود داخل المدينة المنورة (يثرب سابقا) التي وصلت إلى حد ترحيلهم منها بالقوة عام ٦٢٧م إلا أن تشابه جذورهم البدوية الهمجية مع العرب و إشتراكهم معهم في ثقافتهم السامية و إنتمائهم العرقي لوطنهم الأصلي اليمن هو ما دفعه إلى إضفاء الطابع اليهودي المتطرف على دينه السمح ، فأخذ منهم تحريمهم القاطع للخمر و لحم الخنزير و القمار و الكلب و الربا و السرقة و الجنس و الزنا و الخمر و الشرك بالله و عبادة الأوثان إلى جانب مبادئ الوضوء بالماء الطاهر و ذبح الأضحية من الرقبة و ذكر إسم الله قبل ذبحها و السلالة النبوية المقدسة و شعب الله المختار و عدم الإعتراف بالآخر و الإنغلاق و التطرف و العنف ضد الآخرين و إدعاء الكمال و الطهر و النقاء و ثقافة المجتمع الخال من الشوائب و العنصرية الدينية و الدين في خدمة السياسة و

عـــدم فصـــل الـــدين عـــن الدولـــة و ثقافـــة الشـــيطان و الملائكـــة و الجنـــة و النـــار و الـــدنيا و الآخـــرة و الحـــدود الشـــرعية و الصـــلاة و الزكـــاة و الصـــوم و الحـــج ، أمـــا العـــرب و علـــى رأســـهم بنـــو قومـــه كفـــار قـــريش فأخـــذ مـــنهم العديـــد مـــن أعـــرافهم القبليـــة المناســـبة للإســـلام حســـب زعمـــه و أضـــافهم إلـــى الكتـــاب و الســـنة أيضـــا كالهمجيـــة و عـــدم التحضـــر و ثقافـــة الحـــروب و القبيلـــة و الغنيمـــة و العقيـــدة و الحســـب و النســـب و التعصـــب و الجهـــل و التطـــرف بـــدلا مـــن ثقافـــة التحضـــر و العقلانيـــة و الإعتـــدال و التســـامح و ســـيادة الدولـــة و النظـــام و القـــانون و المجتمـــع المـــدني و العمـــل و التعلـــيم و عقوبـــات قطـــع اليـــد للســـارق و الجلـــد لشـــارب الخمـــر و الزانـــي و الزانيـــة و قطـــع الـــرأس للقاتـــل إســـتخدام الـــبطش و القـــوة و العنـــف فـــي فـــرض التعـــاليم الإســـلامية و شـــريعتها الغـــراء علـــى الجميـــع بـــلا رحمـــة أو شـــفقة و ثقافـــة تقـــديس الأشـــخاص و الصـــحابة إلـــى حـــد الألوهيـــة رغـــم تحريمـــه الشـــرك بعـــد فـــتح مكـــة عـــام ٦٣٠م ..... و غيرهـــا مـــن الأشـــياء الغيـــر ســـليمة التـــي أدخلهـــا على دينـــه الجديـــد رغمـــا عنـــه و شـــوه مـــن خلالهـــا جـــوهره الصـــافي العظـــيم الفريـــد مـــن نوعـــه و حـــول أتباعـــه إلـــى روبوتـــات طينيـــة لا هـــم لهـــا ســـوى تنفيـــذها رغمـــا عـــنهم عبـــر جهـــاز تحكـــم يـــديره و مـــن بعـــده صـــحابته الأعـــداء و

رجـــالهم مـــن فقهـــاء الظـــلام تحـــت وطـــأة منفـــاه المظلـــم و بيئتـــه القاحلـــة التـــي لا يـــتمخض عـــن تربتهـــا الفاســـدة ســـوى عـــن فئـــران فاســـدة تأكـــل الأخضـــر و اليـــابس و تهلـــك الحـــرث و النســـل دون توقف على مر العصور .

الفصل الثالث

أليسار

و أنا أتأمل بقايا المحرقة المرمرية الباهتة اللون الواقعة بين أطلال قرطاج القديمة شرق العاصمة التونسية و أنا أسأل نفسي مرارا و تكرارا ، ما الذي دفع أميرة رقيقة القلب مسالمة عزيزة لدى قومها الفنيقيين إلى الرحيل رغما عنها من بلدها بمالها و حالها و محتالها إلى بلد آخر و إنتزاعه من أصحابه الأصليين و لو بالقوة بعدما أكرموها و من معها بحسن ضيافتهم الأصيلة و كرمهم الحاتمي نحوهم ؟!

هذا ما حدث بالضبط مع ملكة قرطاج التونسية و أمها الروحية لها أليسار التي رحلت من مسقط رأسها لبنان شرقا إلى أقصى الشمال الإفريقي غربا هربا من أخيها الصغير بجماليون حيث سعى إلى إنتزاع عرش مملكة صور الفنيقية منها بعدما ورثته من أبيها الراحل عاشر باص بشتى السبل المشروعة و الغير مشروعة لتحقيق أطماعه المتصاعدة في سبيل غرضه المنشود وصلت إلى حد قتلها و التمثيل بجثتها قبل أن تفشل مرامه الدنيئ ذاك و تفلح في الإفلات منه و الظفر بمالها و رجالها و أهلها و ترحل بهم عن وطنهم العزيز على قلوبهم بحثا عن موطئ قدم لها يمكنها من إستعادة

عرشها السليب و الثأر من مغصبيه اللدودين عابرة بهم مجاهل البحر المتوسط و صراعاته التي لا تنتهي الموغلة في القدم منذ الأزل بين أممها المتصارعة صغيرها و كبيرها و تلطخت مياهه العذراء بدمائهم الملوثة بأطماعهم الغزيرة التي لا تنضب حسب وصف أمير شعرائنا أحمد شوقي ، فما كان من أمر أميرتنا المنفية سوى المضي قدما في متاهات هذه الأدغال المتوسطية و الإستسلام لجحيمها الآسن و الغرق في مستنقعها العفن و تصبح عنصرا جديدا من عناصرها المتوحشة كيلا تكون فريسة سهلة لذئابها المفترسة لتكون تونس و سكانها الأصليين من الأمازيغ أولى ضحاياها كي تمارس ظلمها عليهم و تحكمهم بالحديد و النار و تستولي على ثرواتهم و أراضيهم بالقوة و أقامت على أشلائهم و جثثهم المحروقة بنار حقدها الدفين دون حياء أو خجل دولتها الجديدة قرطاج و نسورها الأشاوس التى دوى صيتها في أرجاء المعمورة حوالى قرنين من الزمان قبل أن يمحو الرومان وجودها من الخريطة إلى الأبد .

لم تشعر بالندم عما إقترفته يديها بحق من أووها و من والاها من أبناء جلدتها في ديارهم عن طيب خاطر و بلا حق أخيها الظالم الذي قتلته و مثلت بجثته بعد إستيلائها على صور

كـــأمبراطورة متوجـــة علـــى عرشـــها الجديـــد فـــي قرطـــاج لتمـــد مـــن خلالـــه ســـطوتها الطاغيـــة علـــى شـــعوب و قبائـــل شـــتى مـــن ليبيـــا و تـــونس و الجزائـــر و المغـــرب و لبنـــان و قبـــرص و تركيـــا و اليونـــان و إيطاليـــا و إســـبانيا وقعـــت لا محالـــة تحـــت رحمتهـــا المتوحشـــة قبـــل أن تنطفـــئ جـــذوتها الشـــريرة بعـــد تعرفهـــا علـــى أرينيـــاس الفـــارس الطـــروادي و زوجهـــا القـــادم مـــن أتـــون الصـــراعات و الحـــروب الأهليـــة بـــين أبنـــاء جلدتـــه الإغريـــق المشـــتتين فـــي بقـــاع الأرض مثـــل إخوانهـــا الفينيقيـــين لتغـــرق ذائبـــة فـــي بحـــر وســـامته الآخـــاذة الســـاحرة مـــن أول نظـــرة و تعشـــقه عشـــقا راســـخا فـــي القلـــب بـــلا حـــدود إلـــى حـــد تغييـــر طباعهـــا المتوحشـــة حيـــال شـــعبها المغلـــوب علـــى أمـــره مظهـــرة نـــدمها و آســـفها الشـــديدين علـــى مـــا إرتكبتـــه مـــن جـــرائم و مـــذابح ينـــدى لهـــا الجبـــين نحـــو حيـــث قـــررت تكفيـــر ســـيئاتها بممارســـة العـــدل و التســـامح و المحبـــة و الوئـــام معهـــم و إشـــراكهم فـــي الحكـــم و إخـــتلاط بنـــو قومهـــا مـــع الســـكان الأصـــليين لقرطـــاج و مســـتعمراتها الواســـعة النطـــاق لينبثـــق مـــن رحمهمـــا المـــثخن بجـــراح الماضـــي الشـــعب البـــونيقي و لكـــن بعـــد خـــراب البصـــرة عنـــدما حفـــرت قبـــره بيـــدها إثـــر إشـــعالها فتيـــل الحـــرب الطروادية الثانيـــة بتـــدخلها العســـكري لصـــالحه و أدت

إلـى مصـرعه محترقـا بنيرانهـا الحاميـة الـوطيس قبـل أن يجنـي ثمـار إنتصاره الدامي فيها بشق الأنفس .

لـم تتحمـل أليسـار فراقهـا الألـيم عنـه بسـببها بعـدما تلظـى جسـدها البـديع بلهيبهـا المـر مـرارة العلقـم لـم تـذق النـوم مـن جرائهـا أعوامـا طـوال ، فقـررت دون سـابق إنـذار أن تعاقـب نفسـها شـر عقـاب حيـث أمـرت وصـيفاتها الوفيـات الشـاهدات علـى حياتهـا المتقلبـة رأسـا علـى عقـب منـذ نعومـة أظافرهـا حتـى بلوغهـا مـن الكبـر عتيـا بإحراقهـا فـي محرقـة خاصـة بهـا قـرب قصـرها المرمـري فـي قرطـاج لتتحـول تحـت سـعيرها الملتهـب الـذي لا يـرحم إلـى رمـاد فينيقـي أرجـواني اللـون سـرعان مـا تـذروه الريـاح الهائجـة و تحيلـه إلـى ضـباب أبـيض فـي كبـد السـماء ملبـد بـالغيوم الغاضـبة علـى مـا إقترفتـه يـداها النقيتـان نقـاء الـثلج الناصـع البيـاض مـن جـرائم يشـيب لهـا الولـدان بمـن حولهـا الغريـب مـنهم قبـل القريـب و لطخـت راحاتهـا البراقتـان بـدمائهم القانية بعدما أغرقها المنفى بظلامه الدامس إلى غير رجعة .

الفصل الرابع

بطرس

لم يدر بخلدي أن هذا الكاهن العبراني القادم من فلسطين إلى عاصمة الرومان روما حيث يرقد جسده الفاني تحت سقف كنيسته المقدسة المسماة على إسمه و الواقعة وسط أصغر دولة في العالم سيغير وجه اوروبا خاصة و المسيحية عامة على مر العصور حيث يتحدان على يديه و يصبحان لاحقا سادة العالم على وجه هذه البسيطة و لكن بأساليب ملتوية يندى لها الجبين بعدما كان يرفضها مرارا و تكرارا لمخالفتها الصريحة لتعاليم دينه المسالم و المتسامح و تشويهها الفج لها .

فما إن فاجأني القديس بطرس بخروجه من قبره المزخرف عن طريق الفنان العظيم مايكل أنجلو ليقابلني بعدما عكرت صفو منامه الهادئ هدوء السلحفاة الرمادية داخل صدفتها العاجية ليخبرني على عجل من أمره بأنه كان مثل قلة قليلة من الشباب العبراني تخلى عن ديانته اليهودية و منصبه الهام و مستقبله الواعد كحاخام في هيكل سليمان بالقدس المبني مجددا من قبل ملكهم هيرودوتس على أنقاض الأبرياء في سبيل الدين الجديد الذي دعا إليه أستاذه و قدوته و نبيه

عيسى عليه السلام لما وجد فيه من قيم و مبادئ نبيلة تحض على الحب و السلام و التسامح و الإعتراف بالآخر و ترقية النفس البشرية و تهذيبها و نبذ العنف و التعصب و الكراهية و العنصرية لم يجدها في دينه المريض الموبؤ بعقد دينية لا حصر لها و ما أنزل الله بها من سلطان ليصبح على إثر ذلك واحدا من حواريي المسيح التسعة المؤمنين أشد الإيمان بقيمه ديانته الجديدة النبيلة الداعية إلى السلام و التسامح و الإعتدال و العقلانية و نبذ العنف و الإعتراف بالآخر و المقاومة السلمية للظلم و العدوان و البغي و الفساد الأخلاقي قبل أن يدفعه القمع الوحشي الذي مارسه المستعمرون الرومان لوطنه فلسطين ضده و زملائه الحواريين و إخوانه المسيحيين دون رحمة أو شفقة بدء من قتلهم لنبي الله عيسى صلبا حتى رميهم لقما سائغة مكبلة بالأغلال سهلة المنال للوحوش المفترسة و المصارعين القتلة في حلبات المصارعة المدورة أمام أعين الجميع ليظل طوال عمره مطاردا من قبلهم متنقلا بين منافي القاو شريدا بين كهوفها و جبالها الوعرة زهاء قرنين من الزمان قبل أن يأتيه الفرج على يد الإمبراطور قسطنطينوس الذي إستعان به و إخوته في حروبه الدموية الضارية ضد شركائه الأباطرة الثلاثة في الحكم بعد

إعتناقه لدينهم المسالم و إعتماده دينا رسميا للدولة عام ٣٣٤م لتتكلل مسيرتهم المثخنة بالأوجاع و الجراح الغائرة بالنجاح الساحق بإنتصار حليفهم الروماني على جميع خصومه و القضاء عليهم إثر إستيلائه على درة التاج الإمبراطوري و عاصمتها روما عام ٣٤٣م ليقيم بطرس على ترابها الجبلي الوعر ما عجز أقرانه عن تحقيقه في سبيل المسيحية أول دولة دينية كهنوتية تمثلها في العالم و تدافع عن أتباعها المخلصين و تدير أمورهم الدنيوية و الأخروية في أرجاء المعمورة و المعروفة ببابوية الفاتيكان عام ٣٤٨م و لكن بعدما قضى على كل شئ جميل فيها من تعاليمها الداعية للسلام و التسامح و الإعتدال و نبذ العنف و الإعتراف بالآخر إرضاء لسادته الجدد (الاوروبيون) بعدما خلط حابل عاداتهم و تقاليدهم الوثنية المقززة بنابل مبادئه دينه النصراني الحنيف و حرض حكامهم على ممارسة القمع الوحشي الدموي ضد الوثنيين و أتباع الديانات السماوية الأخرى حتى وقتنا الحاضر رغم أنه مورس ضده و إخوانه عن طريقهم من قبل بعدما أدرك لاحقا و تحت وطأة منفاه الاوروبي بأن المسيحيين لن يكتب لهم النجاة و البقاء على قيد الحياة و الإنتشار على وجه البسيطة إذا ظلوا على نهج دينهم المستقيم و المتسامح و المسالم

الـــذي ســـيحولهم إلـــى فـــرائس مطـــاردة مـــن قبـــل خصـــومهم الـــذئاب مـــن الأديـــان الأخـــرى فـــي غابـــة متوحشـــة لا تـــرحم الضـــعفاء أمثـــالهم إلـــى مـــا لا نهايـــة ، فـــالأحرى بهـــم أن يتخلـــوا عنـــه تمامـــا كـــي يصـــبحوا ذئابـــا قـــادرة علـــى غـــرز أنيابهـــا الحـــادة علـــى أجســـاد نظيراتهـــا الأخـــرى فـــي حـــال إذا حاولـــت إيـــذاءها أو الإقتـــراب منهـــا و لـــو علـــى ســـبيل المداعبـــة أو الفضـــول حتـــى ! و هـــذا طبيعـــى لـــدى كـــاهن مثلـــه ســـرعان مـــا إنقلـــب هـــذا المنقلـــب المشـــئوم تماشـــيا مـــع بيئتـــه الجديـــدة الغريبـــة عنـــه جملـــة و تفصـــيلا و حولتـــه إلـــى ذئـــب مســـعور ينشـــب مخالبـــه الســـامة فـــي أجســـاد معارضـــيه و لـــو كـــانوا إخوانـــه المســـيحيين المخـــالفين لعقيدتـــه الكاثوليكيـــة الفاسدة رغم أنهم لا يقلون فسادا عنه على حد سواء .

الفصل الخامس

الملك الضليل

لم أنس عبارته الشهيرة لحظة إبلاغه بنبأ مصرع والده الملك حيث مازالت تتردد في ذهني حتى عندما زرت مسقط رأسه دمون الجبلية الواقعة في أحضان هضبة حضرموت الشاسعة في إحدى رحلاتي المدرسية قبيل حرب صيف ١٩٩٤م المشئومة لكثرة ما كان والدي المعجب بأشعاره الفريدة من نوعه اللاتي ظل يرددها على مسامعي و إخوتي منذ نعومة أظافرنا لما فيها من عبر و مواعظ خيرها ما قل و دل و لخصت لنا جوهر حياته المثيرة للجدل المفعمة بالتيه و الضياع من المهد إلى اللحد (ضيعني صغيرا و حملني دمه كبيرا ، اليوم خمر و غدا أمر) فليس من المستغرب أن يعرف شاعرنا اليمني الكبير و أمير الشعراء العرب الأول و سليل ملوك كندة الحضارم و آخر من حكم دولتهم الواقعة في قلب نجد السعودية إمروء القيس الكندي لدى الناس بالملك الضليل بعدما ضاق ذرعا من التوهان في حياته العابثة بلا هدف يذكر كما أخبرني بذلك من قبل عندما ألتقيت به خلسة بعيدا عن زملائي في تلك الليلة الباردة بردا قارسا رغم حرارة الصيف هناك و هو واقف متشبث بسيفه اليماني القاطع و

قنديـــده اللامـــع تحـــت وطـــأة النيـــران المشـــتعلة قبالـــة إحـــدى كهـــوف المدينـــة الجبليـــة القابعـــة خلـــف ضـــواحيها الشـــرقية المطلـــة علـــى أســـفل الـــوادي دون أن يفارقـــه لحظـــة واحـــدة منـــذ أن بـــدأ رحلتـــه الطويلـــة لمطـــاردة قتلـــة أبيـــه مـــن أبنـــاء جلدتـــه المنتمـــين لقبيلـــة أســـد (كنـــت مســـتهترا للغايـــة لا هـــم لـــه ســـوى إشـــباع رغبـــاتي و ملـــذاتي و مطـــاردة الفتيـــات و النســـاء الجمـــيلات ، كيـــف و لا و أنـــا مـــن ذوي الـــدم الأزرق ولـــد و فـــي فمـــه ملعقـــة مـــن ذهـــب و بالتـــالي طلبـــاتي مجابـــة دونمـــا إعتـــراض قبـــل أن أتعـــرف علـــى عشـــقي الـــدائم الـــذي لـــم يفـــارقني لحظـــة واحـــدة منـــذ ريعـــان شـــبابي حتى وفاتي مسموما)

(من تقصد ؟)

(أقصد الشعر يا مازن)

(و مـــا المشـــكلة فـــي أن تكـــون شـــاعرا أو تهـــوى الشـــعر و لـــو علـــى سبيل النظم حتى ؟)

(مشـــكلته أنـــه صـــار لعنـــة جاثمـــة علـــى صـــدري تلازمنـــي أينمـــا ذهبـــت غارفـــا فـــي منفـــاه البـــديع و قصـــره الهلامـــي الخـــلاب المصـــنوع مـــن أحجـــار الخيـــال البراقـــة و المـــدهون بمســـك البلاغـــة و عنبـــره الآخـــاذ متناســـيا مـــن حـــولي بمـــن فـــيهم أهلـــي و عشـــيرتي الأقـــربين و

على رأسهم والدي الملك حجر الذي ضاق ذرعا من إنغماسي الشديد في عالمه الوردي الوهاج إلى حد إهمالي لشئون الحكم و المملكة كولي لعهده و خليفته على عرش كندة في المستقبل القريب ، فضلا عن أنه لا يليق على أمير من علية القوم و ذوي المقام الرفيع مثلي و ينتمي إلى الأسرة المالكة قول الشعر أو قرضه و لو على سبيل المزاح ما حدا به إلى إيقافي عند حدي و إهدار دمي لو عدت إليه قبل أن يهدر بنو أسد دمه و يغدرون به غيلة بعدما حل ضيفا على مضاربهم و هو آمن عندهم)

لم أقتنع حينها بما قاله عن الشعر و تأثيره السلبي عليه ، لكن مع مرور الأيام و عند زيارتي كسائح لمثواه الأخير في مدينة مرعش التركية عام ٢٠٠٥م حيث ما تزال سطور قضيدته الأخيرة المخضبة بدمائه ما تزال محفورة بين صخورها الصماء رغم تدثرها بالزهور الجميلة الخضراء ، ساعتها تذكرت ما دار بيني و بينه في ذلك الصيف القائظ بدمون بعدما قلبت فصولها الغرائبية بالتمام و الكمال لأدرك لاحقا فداحة ما جناه جراء هوسه الطاغي بالشعر بعدما صار منفيا في جوف عالمه السحري و متاهاته الجذابة الخلابة للألباب و غارقا في عيون بلاغتها جالعذبة عذوبة الفرات و إلى حد أنه

بـــات بالنســـبة ماضـــيه و حاضـــره و مســـتقبله ورفيـــق دربـــه و صـــديقه و عائلتـــه و ســـيفه الصمصـــام الـــذي يشـــهره فـــي وجـــه أعدائـــه الحقيقيـــين و الـــوهميين علـــى حـــد ســـواء ، فتخلـــى عـــن زوجتـــه و أبنائـــه و أشـــقائه و أصـــدقائه و ملـــك آبائـــه و أجـــداده الآيـــل للســـقوط و عرشـــهم الضـــائع فـــي مهـــب الـــريح و ثـــأر أبيـــه فـــي ســـبيله المظلـــم ليقـــوده إلـــى المـــوت مســـموما علـــى يـــد آخـــر المعجبـــين بشـــعره الآخـــاذ الإمبراطـــور البيزنطـــي جســـتنيان الـــذي وعـــده ريـــاء و نفاقـــا و زورا و بهتانـــا بمســـاعدته فـــي إســـتعادة عرشـــه الســـليب مـــن قبـــل غرمائـــه الأســـديين ، و صـــدق المثـــل العربـــي القائـــل (و مـــن الحب ما قتل) .

الفصل السادس

أبو الطيب المتنبي

(أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ، و أسمعت كلماتي من به صمم)

يا لهما من بيتين شعريين في غاية الروعة البلاغية رغم ما يكتنفها من زهو و غرور حاد مبالغ فيهما عبرتا بوضوح عن مشاعر قائلها الحقيقية التي لا يخفى عنها القمر المنير في كبد الليلة الظلماء ، من إعجابي الشديد بهما لحظة قراءتي لهما في مقدمة ديوان أبو الطيب المتنبي الذي عثرت عليه بالصدفة بين أدراج مكتبه والدي المكدسة بالكتب في إحدى زوايا غرفة الضيوف المتواضعة المتناهية الصغر بشكل عابث و غير منظم كالعادة عام ١٩٩١م ظللت أرددهما مرارا و تكرارا سرا و علانية حتى ضاقت شقيقتي الكبرى ذرعا من ترديدي لهما و من الديوان الذي بحوزتي حيث كان ضمن المواد الدراسية المقررة عليها خلال دراستها الجامعية للغة العربية و آدابها و لم تتمكن من إستيعاب لغة محققه الأديب خليل مردم بك الجزلة الرفيعة المستوى ، و أثناء هوسي بهما داخل غرفة نومي المشتركة مع إخوتي فإذا بشاعرهما المخضرم يربت فجأة بكتفي الأيسر ، و ما إن إلتفت إليه

حتى نهضت مفزوعا من مكاني لحظة رؤيتي له (مممن أنت ؟!)

(أبهذه السرعة نسيتني يا فتى ؟ أنا قائل البيتين الشعريين اللذين مازلت ترددهما حتى اللحظة ، أبو الطيب المتنبي)

(أأأبو الطيب المتنبي بشحمه و لحمه ؟!!)

(أنا هو بشحمه و لحمه)

(من أين أتيت ؟!! و كيف ؟!!!)

(من جوف ديواني الشعري الذي تقرأه الآن بعدما قضيت بين سطوره الصماء في سبات عميق ردحا من الزمن قبل أن توقظني منه و تفتح من خلاله جروحي الغائرة اللاتي لم تندمل بعد حتى يومنا هذا)

(ماذا تقصد ؟ ألها علاقة بالبيتين الشعريين السالفي الذكر ؟)

(بل بما يسودهما من غرور و تكبر و خيلاء طاووسي لا يطاق ظللت منفيا تحت ردائها المزهو بجمالها الكاذب إلى أن حفرت قبري بيديها السرابيتين دون سابق إنذار أو حياء أو خجل منها)

رغم أنني لم أستوعب كلامه الغامض البديع إما من هول المفاجأة أو فزعي التام منها و كلاهما سيان بالنسبة لي إلا أنه أصاب كبد الحقيقة في نقطة واحدة فحسب تتمثل بصفة تمجيد ذاته إلى حد الغرور التي إجتاحت أشعاره و خطاباته المنمقة و معظمها نابع من عقد نقص كامنة فيه ظلت جاثمة على صدره منذ لأعوام طوال ، فلقد روى لي جزء من طفولته البائسة التي قضاها بين أزقة محلة كندة الغارقة في فقرها المدقع و وحولها القذرة بمسقط رأسه في الكوفة إلى أن ضاق ذرعا منها و من والده السقاء الذي لم يرث منه سوى موهبته الأدبية في قرض الشعر و إعتزازه بالنفس الزائد إلى حد الغرور و الغباء ليستخدمهما معا كسلاح ذو حدين أحلاهما مر حيث واجه من خلالهما العالم المحيط من حوله بحلوه العذب و مره العلقم و أصحابه الأحباء و أعدائه الألداء على حد سواء وصل إلى درجة التعالي و التغطرس و التكبر عليهم ، و ما زاد من زهوه بنفسه إدعائه النبوة في يوم من الأيام ما لبث أن تاب عن المضي قدما في هذه المغامرة الطائشة توبة نصوح ..... و غيرها من الأمور التي ألبت عليه الويل و الثبور و عظائم الأمور و مواجع الدهور من الجميع ، بدء بزوجته الصبور الحائرة في أمره و مرورا بصديقه و ولي

نعمته سيف الدولة الحمداني الذي تحولت بطولاته و إنتصاراته العسكرية المدوية ضد البيزنطيين في شرق تركيا إلى ملاحم أسطورية يتناقلها الناس على مر الأجيال و العصور عن طريق شعر صاحبه الرنان المفعم بالزهو و الخيلاء و العظمة الجوفاء إلى أبعد حد فاق ما جادت به قريحة منافسه و خصمه العنيد و إبن عم سيف الدولة الشاعر أبو فراس الحمداني في هذا المضمار ، و إنتهاء بعدوه اللدود سلطان مصر كافور الأخشيدي حيث صب جام غضبه عليه و سلط نيران أبياته الشعرية الملتهبة بعنصريته المفرطة على جسده الأسود و شرفه و مقامه الرفيعين دون سابق إنذار لمجرد أنه رفض طلبه الملح بتعيينه واليا على إحدى ولايات الدولة الأخشيدية الممتدة من الشام إلى السودان و ليبيا ليدفع ثمن غروره الطاغي و ثقته الزائدة عن حدها التي سرعان ما تحولت إلى غباء مطلق و يلقى مصرعه على يد ثلة من قطاع الطرق الجوالين بعدما شهر سيفه القاطع في وجوههم المقنعة و مرددا على مسامعهم آخر أبياته النارية التي لا يشق لها غبار و عبرت عن معاناته المزمنة داخل منفاه الطاووسي المسجون في صرحه الزجاجي الشفاف المظلم بملء إرادته (الخيل و البيداء تعرفني و السيف و الرمح و القرطاس و القلم) .

الفصل السابع

أبو العلاء المعري

(مسكين هذا الديك ، ذبح من أجلي كي أنهش جسده البائس بأنيابي المتوحشة و تستقر أشلاؤه الباقية في قعر بطني الذي لا يرحم أمثاله أبدا)

(و ما الضير في ذلك ؟! إنه غذاء مفيد لجسدك الضعيف يقيم صلبك)

(ويحك يا مازن ؟!! كيف تستهين بهذا الديك المهدور كرامته أمامنا و تجيز أكله بهذا الشكل الوضيع متناسيا أنه كائن حي من لحم و دم له عقل و قلب و روح مثلي و مثلك يشاطرنا نفس الهواء الذي نتنفسه و يشاطرنا نفس المشاعر و الأحاسيس الجياشة التي نشعر بها ، أي نعم هو كما وصفه أستاذي أبو الطيب المتنبي هو و أمثاله من الطيور في إحدى قصائده العبقرية لا يبكي و لا يضحك و لا يغضب مثلنا إلا أنه برأيي يحزن إذا ما أصابه خطب جلل و يفرح إذا ما سره أمر سار بطريقته الخاصة دون أن يبوح بما يختلج في صدره أمامنا) .

لــولا أن الشــخص الجــالس بجــواري هــو فيلســوفنا و أديبنــا الكبيــر أبــو العــلاء المعــري لحســبته واحــدا مــن أولئــك النبــاتيين الغــربيين أو الآســيويين المتشــددين فــي مــواقفهم العقائديــة جــراء تحــريمهم التــام للحــوم الحيوانــات و المواشــي و الطيــور علــى أنفســهم رغــم إبــاحتهم لأكــل الأســماك و الخضــروات و الفواكــه و البقوليــات رغــم أنهــم كائنــات حيــة أســوة بهــم ، فمبــدعنا الضــرير القــادم مــن معــرة النعمــان الواقعــة فــي أقصــى الشــمال الســوري و الحاضــنة لأكبــر متحــف للفسيفســاء فــي العــالم قبــل أن يقــدم أمــراء الحــرب الأهليــة و مجرميهــا علــى تــدميره و نهــب محتوياتــه عــام ٢٠١٢م كــان عظــيم الشــأن لــدى بنــي قومــه نوعــا مــا بعــدما أرغمهــم لاحقــا بضــجيج إبداعاتــه الأدبيــة الفريــدة مــن نوعهــا علــى مــر العصــور رغــم أنهــم كــانوا يضــيقون ذرعــا و علــى رأســهم شــقيقه الأكبــر مــن مجــرد رؤيــتهم لــه أو الإقتــراب منــه بســبب إعاقتــه البصــرية و الســمعية ، و دكــت بفنهــا الرفيــع حصــون القــارة العجــوز الغارقــة آنــذاك فــي عصــور الظــلام و الــديجور حيــث ألهــم نظيــره الإيطــالي دانتــي بملحمتــه الشــعرية (الكوميــديا الإلهيــة) و نظيــره الالمــاني بفلســفته التشــاؤمية و النبــاتيين فــي الشــرق و الغــرب بنــزعتهم النباتيــة ، و مــع ذلــك ظــل متشــبثا بتشــاؤمه الــذي لا يطــاق غارقــا فــي منفــاه المظلــم يتجــرع المعانــاة المريــرة بــين أروقتــه الحالكــة

السواد ليل نهار ، فبعد إبتلائه في الثالثة من عمره بمرض الجدري و فقد على إثرها نعمة البصر إلى الأبد أضحى ينظر للحياة بحلوها و مرها و خيرها و شرها نظرة سوداوية قاتمة أحادية الجانب إنعسكت بدورها سلبا على أعماله الأدبية و تعامله اليومي مع الناس بمختلف مللهم و نحلهم دون أن يفقد بصيرته النافذة في إعطاء كل ذي حق حقه من النقد أو التقدير أو يكترث لردة فعلهم نحوه مدحا كان أم ذما حتى بعد فقدانه و هو في ريعان شبابه لوالده العزيز حيث كان نعم الحامي و السند الداعم له في مواجهة الناس و إحتقارهم و إزدرائهم العنصري المثير للإشمئزاز له كونه ضرير لا حول له و لا قوة ، و ما زاد الطين بلة إصابته بالصمم عندما بلغ من العمر أرذله فإنغمس في منفاه التشاؤمي أكثر من ذي قبل و أضحى رهين المحبسين بملء إرادته منعزلا عمن حوله وحيدا قانعا بوحدته القاتلة إلا على بعض خلصائه الموثوقين بالنسبة له ، و من شدة تشاؤمه الحاد لم يفكر حتى بالزواج و إنجاب الأولاد لا من قبل و لا من بعد حيث ظل أسير عزوبيته المزمنة إلى أن وافاه الأجل لإقتناعه بأن ما من إمراة في بلاده ستقبل الإقتران برجل مثله و تضع جمالها رهن إشارته و تحت تصرفه و هو بهذه الحال التي يرثى له .

و رغم كل ما سبق فإنهم لم يردعوه عن مواصلة إبداعاته الخالدة و لا عن دفاعه المستميت عن قدوته المتنبي و عن نهجه المتفائل مع الحياة إلى حد الزهو المطلق بنفسه أمام خصومه اللدودين و على رأسهم الشاعر الشريف الرضي الذي طرده من مجلسه الأدبي العامر بالمتعصبين للطائفة الشيعية و السلالة الهاشمية حيث سلطهم عليه لينهالوا لكما و ضربا و شتما فيه دون إعتبار لمكانته الأدبية الرفيعة أو رافة بما أصابه من عاهة مستديمة حرمته من نعمتي السمع و البصر ليموت كمدا حسرة على مجتمع ظالم لم يراع معاناته الأزلية كرجل ضرير فارضا عليه العيش في سجنه المختار رغما عنه هائما مكبا على وجهه هيام بلبل حيران بين جدرانه الكئيبة و قضبانه الصدئة على غير هدى دون أن يعرف ما إذا كان سعيدا أم حزينا وسط دنياه الموحشة بعدما حولته إلى بهلوان شرس يتنقل من غصن لآخر بغية إرضاء من حوله بمن فيهم بنو جنسه حرصا على حياته و إتقاء لشرهم المستطير .

الفصل الثامن

الإمام البخاري

تجادلت مرارا و تكرارا مع أفراد عائلتي و في مقدمتهم أشقائي الكبار حول صحيح البخاري حيث يرونه كتابا مشكوكا في صحة محتواه الفقهي لما يشوبه من أحاديث موضوعة تعج بالأكاذيب و الأباطيل الهادفة إلى تشويه حكمة و فلسفة رسولنا الكريم (ص) السامية التي لا تنطق عن الهوى بالزور و البهتان ، و هي كلمة حق يراد بها باطل لتخفي بين طياتها المراد الحقيقي وراء هجومهم السافر عليه كون من ألفه أعجمي من أهل و ينحدر من دنية القوم و ليس عربي الدم و زيدي المذهب و ينحدر من السلالة الهاشمية المقدسة حسب زعمهم مثلهم كغيرهم من سكان الشطر الشمالي من الوطن الموبؤين حتى هذه اللحظة بداء النعرات العصبية العفنة التي عفا عليها الزمن ، عموما لم أكترث لإتهاماتهم الحادة نحوه و إعتبرتها جعجعة بلا طحين حيث قلبت صفحات كتابه المندرج ضمن علم الحديث و المعروف بصحيح البخاري ضاربا بكلامهم عرض الحائط قبل أن ينبثق فجأة لي من بين سطور صفحاته الصماء المكتوبة باللغة العربية الجزلة هالة شيخ جليل وقور أفزعني منظره

الوديـــع مـــن الوهلـــة الأولـــى (أعـــوذ بـــالله مـــن الشـــيطان الـــرحيم ! أعوذ بالله من الشيطان الرجيم !)

(هدئ من روعك يا بني و لا تخاف مني)

(مممن أنت بحق السماء ؟!)

(أنا مؤلف الكتاب الذي أنت بصدده الآن)

(الإمام البخاري ؟!)

(هو بشحمه و لحمه)

(العفـــو منـــك يـــا مولانـــا ، لـــم أكـــن أقصـــد إهانتـــك عبـــر إســـتقبالي البـــارد بهـــذا الشـــكل مـــن شـــدة الـــذهول لعـــدم معرفتـــي لـــك ، رجـــاء ....)

(لا عليـــك يـــا بنـــي ، خيـــرا إن شـــاء الله ، كـــل مـــا فـــي الأمـــر أنـــي رأيتك منكبا على مطالعة كتابي هذا بشغف شديد ،

مما أثار إستغرابي)

(و مـــا الغريـــب فـــي ذلـــك ؟ كتابـــك قـــيم للغايـــة و يســـتحق منـــا قراءتـــه مـــرارا و تكـــرارا لمـــا يحتويـــه مـــن أحاديـــث نبويـــة عطـــرة مـــن وحـــي كـــلام رســـولنا الكـــريم (ص) بـــدلا مـــن نظيراتـــه المبتذلـــة

التافهة التي يقبل شبابنا الضائع عليها بنهم عجيب دون وازع من ضمير أو فائدة ترجى منها)

(ألمجرد أن كتابي يحتوي الأحاديث الصحيحة لرسولنا الكريم (ص) ؟)

(ليس هذا فحسب ، بل لأنها صحيحة مائة بالمئة و بالتالي يمكن من خلالها أن نطبق السنة النبوية على أرض الواقع بشكل سليم)

(هه ، هذا إذا كانت صحيحة أصلا !)

(إذا كانت صحيحة أصلا ؟! ماذا تعني يا إمام ؟!!)

(إسمعني يا مازن ، أنت تعلم جيدا أنني سعيت منذ قدومي من مسقط رأسي بخارى بأوزبكستان إلى جمع الأحاديث النبوية الشريفة قدر إستطاعتي و وفق المنهج العلمي السائد لدى علماء الحديث السابقين و اللاحقين على حد سواء و لكن دون جدوى ، فمعظم ما جمعته من أحاديث تبين لي فيما بعد بأنه مشكوك في صحتها مائة بالمئة)

(حتى بعد إستخدامك لمنهج علماء الحديث الأوائل في فحصها و تنقيحها و التدقيق في محتواها ؟)

(حتى بعد فحصي الخاص لهن فحصا دقيقا مثنى و ثلاث و رباع مستخدما خبرتي في لغة الضاد و مدارسها اللغوية و النحوية في الكوفة و البصرة و مكة المكرمة و المدينة المنورة)

(معقول ؟!! و لماذا ؟!!!)

(لأن مشكلة الحديث الشريف هي ذاتها مشكلة القرآن الكريم ، كلاهما مشكلته تكمن في طريقة تدوينهما فحسب)

برده الحاسم المقتضب نوعا ما على سؤالي العالق في ذهني الحائر منذ ثوان معدودات قطع إمامنا البخاري قول كل خطيب بعدما عبر لي بشكل غير مباشر عن كبد الحقيقة الغائبة عن أذهاننا نحن معشر المسلمين لقرون طوال فيما يتعلق بالحديث النبوي الشريف الذي تم تدوينه بأسلوب العنعنة و الرواية الشفهية المعتادة لدى العرب منذ العصر الجاهلي لا بتدوينه كتابيا لحظة حدوثه الزمني المحدد له ما جعله عرضة للتحريف و التزييف كما جرى للقرآن الكريم من قبل ، و يا ليت الأمر وقف عند صحيحه النبوي فحسب بل طال كتب الحديث الأخرى المعتمدة لدى السنة (مسلم ، الترمذي ، ابن داود ، ابن ماجه ، النسائي) و الشيعة و الزيدية و الإباضية المكتظة بالأحاديث الموضوعة حتى النخاع

لأغـــراض سياســـية دنيئـــة بحثـــة فـــي نفـــس يعقـــوب بعـــدما إنبثقـــت روائحهـــا الســـامة ســـما زعافـــا مـــن رحـــم خيانـــة معظـــم علمـــاء الحـــديث المســـلمين للآمانـــة العلميـــة و مشـــاركتهم الباطلـــة فـــي صـــياغتهم الكاذبـــة و المـــزورة لهـــن و إنتشـــارهن بـــين أبنـــاء جلـــدتهم إنتشار النار في الهشيم دون حياء أو خجل .

عنـــدما ســـألته لمـــا لا يقـــدم علـــى تعريـــف النـــاس بـــتلكم الأحاديـــث الموضـــوعة المنشـــورة فـــي كتابـــه بـــراءة للذمـــة كـــان يتـــردد فـــي آخـــر لحظـــة عمـــا عـــزم عليـــه حفاظـــا علـــى ســـمعته المقدســـة كرجـــل ديـــن مســـلم كمـــا هـــو حـــال زملائـــه فـــي مجتمعاتنـــا العربيـــة و الإســـلامية حتـــى وقتنـــا الحاضـــر و بالتـــالي خوفـــا مـــن غضـــبهم العـــارم نحـــوه و إتهامـــه بـــالزور و البهتـــان فـــي تزييـــف و تحريـــف الأحاديـــث النبويـــة إلـــى حـــد تكفيـــره و إخراجـــه مـــن الملـــة إلـــى يـــوم الـــدين ، مـــا يدفعـــه إلـــى أن يلـــزم الصـــمت حـــول هـــذا الأمـــر الخطيـــر مفضـــلا الإنـــزواء تحـــت صـــومعة منفـــاه الملطـــخ بنصـــوص الكتـــاب و الســـنة المحـــرفين تحريفـــا تامـــا علـــى يـــد مـــن ســـبقوه مـــن زملائـــه العظـــام عربـــا كانوا أم عجما إلى أبد الآبدين .

الفصل التاسع

عبدالقادر الجزائري

روى لنا والدي من وحي دراسته الجامعية في الجزائر ما جرى في عاصمتها الساحلية المطلة على البحر المتوسط عام ١٩٦٦م عندما خرج الجزائريون عن بكرة أبيهم زرافات و وحدانا في إستقبال رفاة أعظم مجاهديهم الأوائل في مقاومة الإستعمار الفرنسي قادما من منفاه السوري بصحبة حفيده الأمير محمد سعيد عام ١٩٦٦م في موكب جنائزي مهيب لم يشهد له بلد المليون و نصف المليون شهيد مثله من قبل ، فضلا عن إقامة السلطات الرسمية تمثالا ضخما له عند مدخل حديقة العناصر من نفس العام .

لم يدر بخلدي أثناء ما كان والدي يعدد لنا بعضا من مآثره و بطولاته المكتوبة بماء الذهب و حفظناها عن ظهر قلب خلال دراستنا لشخصيته الفذة في المرحلة الإبتدائية أنه بجواري منذ الوهلة الأولى يستمع بدوره مثلنا إلى سيرته العطرة ، فما إن أغلقت على نفسي باب غرفتي المتواضعة حتى شعرت بحركة مريبة تدور رحاها في إحدى زواياها الشبه معتمة (الآن يمكننا أن نتكلم يا عزيزي)

(من ؟!! الأمير عبد القادر ؟!!!)

(هو بشحمه و لحمه)

(يبدو أنك سمعت ما رواه والدي لنا عن سيرتك العطرة و دورك الملحمي في تحرير وطنك من براثن المستعمر الغاصب بعد مضي قرن من الزمان حتى تشرفنا بزيارتك الرفيعة المقام لنا ؟)

(و ما الفائدة من كل ما ذكرت يا بني و أنا بعيد عن ذلك أشد البعد في منفاي السوري حيا أم ميتا ؟)

(هون عليك يا سمو الأمير ، فالأمر ليس بهذا السوء كما تظن ، فأبناؤك الجزائريون حققوا مرادك المنشود بعدما تعلموا منك أهمية الوحدة الوطنية في تحرير وطنهم الغالي على قلوبهم ؟)

(و من أجل ذلك كان علي أنا و أولادي في مقدمة المجاهدين و الشهداء و الصديقين الشاهدين على تحقيق هذا الإنجاز العظيم ، لا أن نموت في دمشق كما يموت البعير الأجرب غير مأسوف عليه دون عقد أو إبرام و يثير سخرية من حوله)

(و لكنك أجبرت على حياة النفي و الإغتراب .....)

(و من قال لك أنني أجبرت على حياة النفي و الإغتراب يا بني ؟ أفق يا هذا أفق ! و أعلم مع تتحدث !! أنت تتحدث مع الأمير عبد القادر الجزائري الذي لا يستسلم لعدوه مهما كانت قوته و لا الدنية له على حساب المنية حتى و لو كان الثمن حياته في سبيل الله و الوطن مثل غيري من إخواني الجزائريين .....)

(فعلام قبلت بالإستسلام لهم إذن ؟)

(من أجل الجزائر قبلت بذلك الوضع المهين)

(من أجل الجزائر إستسلمت لهم ؟!)

(أجل ، إستسلمت لهم ، و لا تسألني أكثر من ذلك رجاء ، فما حدث قد حدث ، واضح ؟)

(واضح سمو الأمير واضح)

لم أقتنع برده الأخير علي ، فأي مصلحة ترجى من إستسلام رجل مقاوم للمستعمر الغاصب دون قيد أو شرط منه له ؟ سيما بعدما خاض حروبا طاحنة حامية الوطيس ضدهم خلال عشر سنوات عجاف أدت إلى إهلاك الحرث و النسل قبل أن يتمخض عنها تحرير ثلاثة أرباع البلاد من قبضتهم الوحشية تحت لواء دولته المستقلة قصيرة الآجل ؟ أم أن الأمر له

علاقة بحرصه الشديد على الوحدة الوطنية لأبناء جلدته بعد خراب البصرة عندما تعرض للغدر و الخيانة من قبل حلفائه المحليين الذين سلموه لأعدائه اللدودين تسليم أهالي حسب تعبير إخواننا المصريين تحت وطأة وحشية المستعمر الدموية التي لا تطاق ضد النساء و الأطفال و العجائز ؟ أم تراه عائد لغدر بلدان الجوار الذين إستنجد بهم خلال محنته الكبرى إثر هزيمته في معركة تافنا عام ١٨٤٠م ؟ ..... الخ .

ظل عقلي المرتبك يدور في فلك تفضيل سمو الأمير حياة النفي و الإغتراب خارج وطنه الغالي في المغرب و فرنسا و تركيا و سوريا بدلا من أن يروي ثراها الطاهر بدمائه الزكية قبل إكتشافي لاحقا مربط الفرس الخفي من سيرته الملحمية و المتمثل في غرقه مثل غيره من السادة الهاشميين حتى أخمص قدميه في هواه الأثير منذ نعومة أظافره حتى إنتقاله إلى جوار ربه سبحانه و تعالى ألا و هو منفى الزعامة المقدسة حيث إعتاد سليل الحسب و النسب و الأشراف العلويين و حامل دمهم النبوي المقدس المزعوم أن يتسيد قومه و يحظى بإحترامهم المبالغ فيه و طاعتهم العمياء له إلى حد التبجيل و القداسة المفرطين سواء أكان رئيسا لأحد قبائل مسقط رأسه القيطنة القابعة في جوف الصحراء الوهرانية أو شيخا متصوفا

لطريقتها القادرية ثم رئيسا لأول دولة جزائرية مستقلة عن المستعمر الفرنسي قبل أن يفلح الأخير في القضاء عليها بشق الأنفس ليصبح على إثرها زعيما بلا زعامة ردحا في الزمن ما تسبب له بأزمة نفسية حاول تعويضها بتمتين علاقاته بالباب العالي فرض زعامته على الجزائريين المقيمين في سوريا و لبنان و فلسطين ممنيا نفسه بتحقيق الوحدة الوطنية للشعب الجزائري ضد المستعمر تحت زعامته و سلالته الكريمة مجددا ناسيا بأن زعامة الثورة الجزائرية ضد الإستعمار الفرنسي لم تكن حكرا لعائلة أو قبيلة أو طائفة ما أو شئ من هذا القبيل بل لمن يختاره الجزائريون بكافة مشاربهم لشدة إخلاصه لهم و لقضيتهم العادلة بغض النظر عن أصله و فصله .

الفصل العاشر

ناظم حكمت

أثناء مطالعتي لملف الشاعر العراقي الراحل بدر شاكر السياب ضمن إحدى أعداد مجلة الوسط اللندنية الصادرة عام ١٩٩٥م إستوقفني إسم الشاعر ناظم حكمت المذكور بين سطور مذكرات الأول المرتبطة بفترة إنضمامه للحزب الشيوعي أثناء دراسته الجامعية حيث سرعان ما حرك المياه الراكدة لذاكرتي الحديدية نوعا ما ، سيما و أن هذه ليست المرة الأولى الذي يتردد إسمه المغمور بالنسبة لي آنذاك على مسامعي ، فلقد ظل الأديب السوري الراحل حنا مينا يذكره مرارا و تكرارا بين صفحات رواياته الذائعة الصيت وفق ما رواه لقراء مجلة العربي الكويتية بين سطور باب مرفأ الذاكرة عام ١٩٨٩م معتبرا إياه قدوته و إماما له و غيره من اليساريين العرب بكافة أطيافهم يحتذى به فكرا و أدبا رغم إنتمائه لعدوه اللدود الذي إستولى على مسقط رأسه اللواء السليب الإسكندرون و ضمه إلى أراضيه ألا و هو تركيا ، ليس هذا فحسب ، فشاعرنا المغوار المولود في سالونيك اليونانية الخاضعة للدولة العثمانية آنذاك عام ١٩٠٢م لم يكن من السواد الأعظم من الشعب أو عامة الناس بل هو من أسرة

كريمة المحتد من علية القوم و طبقة النبلاء العثمانيين المعروفين بالباشوات أو البكوات أو شئ من هذا القبيل رغم أصولها الأجنبية (البولندية – الالمانية) حيث ولد في كنفها و في فمه ملعقة ذهب على رأي إخواننا المصريين و لم يذق حينها مرارة الفقر و الحرمان منذ نعومة أظافره ، و مع ذلك فقد كره هذا الوسط الإجتماعي كرها شديدا لما طغى عليها من مفاسد جمة ألقت بظلالها السوداء على بلاده سلبا و قضت على ما تبقى من إمبراطوريتها المترامية الأطراف أثناء تأدية مهامه كجندي حديث العهد في سلاح البحرية خلال الحرب العالمية الأولى حيث خاض العديد من معاركها الطاحنة التي يندى لها الجبين في ليبيا و فلسطين و تركيا برا و بحرا و كشفت له حجم الفساد و الوهن الذي أصاب دولته العلية بمقتل و بالتالي دفعه للتبرؤ من طبقته المخملية و الإنضمام لصفوف نظيراتها المسحوقة و المحتقرة إجتماعيا خلال حرب الإستقلال و الحفاظ على ما تبقى من إمبراطوريتهم الغابرة ضد المستعمر اليوناني الذي كان تابعا لهم في يوم من الأيام .

لم يندم ناظم أبدا مثل ندمه على شيوعيته المثالية أو نقائه الشيوعي التي إعتنقها في صباه على سبيل الرفاهية الفكرية و

العيش في منفاها الأخير سابحا في ملكوتها الساحر قبل أن يكتشف عقمها على أرض الواقع المحلي المعاش حيث النظرية شئ و التطبيق شئ آخر قبيل وفاته في الإتحاد السوفيتي بشهرين ، فلا الشيوعيون شيوعيون حتى النخاع و لا الرأسماليون رأسماليون حتى النخاع و لا يحزنون ، كلاهما يستنبط من هذه العقائد السياسية المثيرة للجدل و الإضطراب وفقا لثقافته الفكرية الخاصة به و وسيلة لتصفية حساباته الشخصية مع الآخرين ، و هذا ما أدركه مليا خلال خلافاته الحادة مع أتاتورك و معارضته الشديدة له حول طبيعة الدولة الجديدة و نظامها الجمهوري بعدما حلت محل دولة آبائهما و أجدادهما العثمانيين عام ١٩٢٤م و الذي أدت إلى نفيه خارج البلاد و سحب الجنسية منه عام ١٩٢٩م ليظل على هذا الحال شريدا طريدا في بقاع الأرض و يملأ الدنيا ضجيجا بأشعاره الرنانة العذبة ملؤها المدح و الذم و الحنين و العتب التي تخاطب وجدان البشر و الشجر و الورود و الزهور و الحجر في مدينته الأثيرة إسطنبول و تداوي جراح قلوبها الصماء بكلماتها العذبة عذوبة الفرات دون أن تداوي جراحه العميقة في فؤاده المرهف ردحا من الزمن .

و هـــذا مـــا لاحظتـــه عنـــدما كنـــت أتجـــول بـــالقرب مـــن حديقـــة الشـــهداء وســـط مدينـــة عـــدن فـــي الصـــباح البـــاكر فـــاذا بـــي يتوقـــف فجـــأة لحظـــة رؤيتـــي رجـــلا انيقـــا فـــي منتصـــف عمـــره دون ان تظهـــر اثـــار التجاعيـــد علـــى وجهـــه يكتـــب متـــاملا فيمـــزق الورقـــة باناقـــة ثـــم يكتـــب مجـــددا ، فســـرعان مـــا انتـــابني الســـرور و تقـــدمت نحـــوه بخطى ثابتة جزلانا فرحانا :

(صباح الخير استاذ ناظم)

(صباح الخير ، هل تعرفني من قبل ؟)

(و مـــن منـــا لا يعـــرف الشـــاعر التركـــي الكبيـــر نـــاظم حكمـــت عصفور الهجرة و الحنين ؟)

(عصـــفور الهجـــرة و الحنـــين ؟!! اذن فانـــت مـــازن غـــافر الـــذي اعـــد ملفـــا عنـــي فـــي مجلـــة الجنـــان الاســـبوع الماضـــي ، الـــيس كذلك ؟)

(بالطبع)

(اهلا و سهلا بك ، تفضل بالجلوس)

(شكرا)

(لقد تابعت باهتمام شديد ما كتبته عني ، و لا اخفيك سرا عن مدى

اعجابي الطاغي بالرغم من انه مكتوب باللغة العربية)

(الى هذا الحد ؟!)

(و اكثر ، لقد عبرت عن شخصيتي الحقيقية ، شخصية ناظم حكمت ابن الباشوات و علية القوم الذي تعاطف مع فقراء و مظاليم بلاده و سعى الى انتشالهم من المستنقع العفن التي لا تزال تركيا غارقة فيه حتى أذنيها الى يومنا هذا من فساد و ظلم لا يطاق)

(و ماذا كان المقابل ؟ الاعتقال و التشريد و النفي و تجريدك من جنسيتك و حرمانك من وطنيتك ....)

(ما من احد يستطيع التشكيك بوطنيتي حتى و لو كان الشعب او الدولة بذاتهما)

(لماذا ؟)

(لان الوطن قدري ، قدري الذي اخترته بملء ارادتي لا رغما عني او بفرمان سلطاني او قرار جمهوري ، لذا لا استطيع من قيوده الحانية الدافئة و اضحيت في سبيله عصفورا سجينا في

قفـــص غربتـــه مهـــاجرا مـــن بلـــد الـــى بلـــد شـــاكيا الامـــه و امالـــه للســـماء و الازهـــار و الاشـــجار و الســـحاب و الغيـــوم و الـــدنيا بمـــا فيها علهم يحركون ساكنا نحوه) .

الفصل الحادي عشر

محمد عبدالولي

أثناء مطالعتي لصفحتي المغمورة نوعا ما في الفيسبوك صيف ٢٠٢٢م إسترعى إنتباهي إحدى طلبات الصداقة المقترحة المعروضة لدي تحمل بين طياتها الفضفاضة مسابقة أدبية ذائعة الصيت إلى حدما على الصعيدين المحلي و الإقليمي و بإسم مثلي الأعلى و سراجي المنير لدربي في عالم القصة و الرواية و المسرح محمد أحمد عبدالولي منذ أن إنتزعت صدفة و أنا بالمرحلة الإعدادية آثاره الآدبية النادرة من براثن خضم بحر من الكتب و المجلات المتنوعة من كل قطر و بحر و وزن المكدسة فوق بعضها البعض تكدسا عبثيا بلا ترتيب يذكر داخل مكتبتنا المتواضعة حيث إقتناها والدي على سبيل المجاملة لشقيق المؤلف الراحل الأديب و الفنان التشكيلي عبدالفتاح عبدالولي أثناء زيارته العابرة للعاصمة صنعاء قادما من الحالمة لإحياء ذكراه السنوية داخل مقر إتحاد الأدباء و الكتاب اليمنيين صيف عام ١٩٨٤م و إلا لما تقبل وجودهن بين رفوف مكتبته المهترئة لما تحتويه من روايات و قصص و مسرحيات تمس شرف سلالته الهاشمية الزيدية الحاكمة للشمال قبل سقوطها على يد ثوار السادس و

العشـــرين مـــن ســـبتمبر عـــام ١٩٦٢م بســـوء حســـب زعمـــه رغـــم أن مـــن يطـــالع ســـطورها المثيـــرة للجـــدل سيكتشـــف عكـــس ذلـــك تمامـــا ، فمحمـــد عبـــدالولي ظـــل شـــريدا فـــي منفـــاه الإغترابـــي المظلـــم ردحـــا مـــن الـــزمن حتـــى بعـــد عودتـــه إلـــى أرض الـــوطن إثـــر قيـــام الثـــورة الســـبتمبرية قادمـــا مـــن مهجـــره الإثيـــوبي الـــذي قضـــى طفولتـــه المبكـــرة هنـــاك مـــع والـــده تاركـــا والدتـــه و شـــقيقه الصـــغير عبـــدالفتاح فـــي قـــريتهم النائيـــة فـــي عمـــق جبـــال الحجريـــة الخضـــراء الواقعـــة جنـــوب تعـــز يتجرعـــون بمفردهمـــا مـــرارة العـــيش و الظلـــم مـــن أعـــوان النظام الإمامي عليهم ليل نهار .

ظـــن أديبنـــا الكبيـــر بـــأن الخيـــر ســـيعم أرجـــاء وطنـــه الشـــمالي الحـــزين بمجـــرد أن يرفـــع الأئمـــة الزيـــديين أيـــديهم عـــن كاهلـــه و أعنـــاق و رقـــاب أبنائـــه المســـاكين بعـــد أن يرحلـــوا مـــن ســـدة الحكـــم و يســـقط نظـــامهم الـــديني المـــريض إلـــى غيـــر رجعـــة قبـــل أن يكتشـــف ســـوء تقـــديره للأمـــور حيـــث خلفـــوا وراءهـــم مجتمعـــا مريضـــا يعـــج بالعقـــد و الأمـــــراض النفســـــية و الإجتماعيـــــة حتـــــى النخـــــاع ، أي أن مشـــكلة بـــلاده هـــي فـــي الشـــماليين أنفســـهم بكافـــة أطيـــافهم مـــا جعلـــه يشـــعر باليـــأس المطلـــق و يفقـــد ثقتـــه بمـــن حولـــه حكامـــا و شـــعبا الـــذين لـــم يتقبلـــوا إنتقاداتـــه اللاذعـــة نحـــوهم حيـــث إضـــطهدوه ظلمـــا و عـــدوانا دون رحمـــة أو شـــفقة كـــان آخرهـــا

إعتقال الحكومة النوفمبرية له إعتقالا تعسفيا مدة ثلاث سنوات بتهمة إنشائه أول مطبعة و دار نشر خاصة في تعز ؟! و هذا ما لاحظته تماما أثناء مطالعتي لمجموعاته القصصية (الأرض يا سلمى) و (شئ إسمه الحنين) و (عمنا صالح) و روايته (و يموتون غرباء) حيث إمتازت جميعهن بتحليله النقدي الدقيق لمجتمع موطنه الأصلي رغم قضائه في الغربة بعيدا عنه لعقود طوال ، ما دفعه إلى الرحيل صوب الجنوب و إعتناق عقيدته الشيوعية الذي تمكنت من تطهير مجتمعها من أمراضه النفسية و الإجتماعية بجرة قلم و قوة الدولة و القانون قبل أن يلقى مصرعه و زملائه الدبلوماسيين إثر إنفجار مدبر من قبل حكامه الطغاة لطائرات الداكوتا التي كانت تقلهم و تناثر إشلائهم البريئة مع حطامها المنثور في صحراء شبوة صريع قناعاته السياسية عام ١٩٧٤م .

ظللت نائما حتى وقت متاخر من الصباح كما هي عادتي

كصحفي خامل متذمر من عمله كرئيس للقسم الادبي بمجلة الجنان الكائنة بحي الملكة اروى بمدينة عدن حيث لا أداوم فيها الا نادرا ، و فجأة شعرت بلمس خفيف على ذراعي اشتدت وطأتها عليه امام عدم استجابتي لندائها الخفي فاستفقت غاضبا قبل ان أصاب بالرعب و الفزع عندما رايت

امـــامي رجـــلا ذو ثيـــاب بيضـــاء جـــاحظ العينـــين الـــى حـــد مـــا ، ســـرعان مـــا ابتلـــع ريقـــه و اســـتعدت رباطـــة جأشـــي دون ان تتوقـــف شفتاي عن التردد و الاهتزاز من شدة الخوف :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ....)

(هديء من روعك يا بني ، لا تخش شيئا)

(من انت يا هذا ؟)

(انـــا روح احـــد المثقفـــين المنفيـــين الـــذين تكتـــب عـــنهم فـــي صحيفتك)

(اي واحـد مـنهم تكـون؟ لقـد ذكـرت العديـد مـنهم الـى حـد امـتلاء ذاكرتـي بهـم دون ان اتمكـن مـن تمييـزهم ، فمـا بالـك بـك انـت ؟)

(ابـــن جلـــدتك الـــذي اســـهبت فـــي الحـــديث عنـــه لدفاعـــه المستميت عن العاملين في الغربة و أرض المهجر)

(اه ، اســتاذ محمــد عبــدالولي ! اعــذرني لعــدم تــذكري ايــاك ، لــم اكن اقصد ذلك)

(لا عليك)

(تفضل بالجلوس)

(شكرا)

جلس محمد عبدالولي بمحاذاة مكتبي المغمور بالفوضى العارمة الى حد انه لم يجد مكانا لائقا يضع فيه صحن أكواب الشاى لضيفه الكبير .

(لما اتعبت نفسك ؟ لم أكن أرد شيئا بالمرة)

(لاتقل هذا يا استاذ ، انت ضيفي يجب أن اؤدي واجب الضيافة معك ، ثم انت لست ضيفا عاديا ، انت محمد عبدالولي رائد الرواية و القصة القصيرة في بلادي)

(ها ها ها ، ليس الى هذا الحد ، انت تبالغ يا استاذ مازن)

(ابدا و الله ، انها الحقيقة ، تفضل كوبا من الشاى)

(شكرا)

بينما كان محمد عبدالولي يتناول الشاى معي ، ظل يتامل مكتبي المبعثر بابتسامة خفيفة .

(ان مكتبك شكله مميز)

(اه ، هذا من لطفك يا استاذ محمد ، كل ما في الأمر اني لم اقم بترتيبها بعد ، فلقد تفأجات بقدومك ، فاعذرني على هذه الفوضى ...)

(لا عليك يا استاذ مازن ، كل ما في الأمر ان منظرها ذكرني بمحتويات دكان بطل روايتي (و يموتون غرباء))

(تقصد عبده سعيد الذي هاجر الى اثيوبيا من مسقط رأسه في تعز باليمن

خلال ثلاثينيات القرن العشرين ؟!)

(نعم)

(هل اثاث مكتبي متطابق معه الى حد كبير ؟!!)

(و أكثر)

(كيف ؟!!!)

(ساخبرك ، لقد كان صغيرا جدا ، ضئيل الحجم ، مكدسا بكافة البضائع بكميات وفيرة تفوق ما لدى المتاجر الكبرى في العاصمة اديس ابابا من بضائع و زبائن)

(و مع ذلك ، كان نهايته ماساوية و مريعة تمخضت عن وفاته داخل دكانه و تعفن جثته بين اكوام منها)

(نفس حدث مع والدي و غيره من المغتربين الذين هاجروا رغما عنهم من وطنهم الى ارض المهجر خلال فترة الحكم الامامي المستبد الرجعي في الشمال و الاستعمار البريطاني

في الجنوب ، و على الرغم من القضاء عليهما بفضل ثورتي ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م و ١٤ اكتوبر عام ١٩٦٣م فان هدير الهجرة لم يتوقف ، و ازدادت وتيرتها اكثر من ذي قبل)

(كيف ؟)

(انت تعلم يا استاذ مازن ان معظم اعمالي الروائية و القصصية و المسرحية دارت حول الغربة و الهجرة كرواية و يموتون غرباء و قصص الارض يا سلمى و شيء اسمه الحنين)

(هذا صحيح)

(لكن منذ منتصف الستينات حتى مصرعي في حادث طائرة تابعة للـيمن الجنوبي عام ١٩٧٤م بدات اهتم بالاوضاع الداخلية و الاجتماعية و الاقتصادية و التشطير .... الخ ، لاكتشف الحقيقة المرة الغائبة عني منذ طفولتي حول سر ماساة بلادي الراهنة و التي تدفع ابنائها الى الرحيل عنها دون رجعة)

(و ما هو ؟)

(ان سـبب ماسـي الـيمن و كوارثهـا يعـود الـى اليمنيـين انفسـهم و لـيس الـى الامامـة و الاسـتعمار و الانظمـة التـي حلـت محلهمـا)

.

الفصل الثاني عشر

ابن تيمية

تعرفت عليه تعرفا سطحيا أثناء متابعتي لمسلسل تاريخي مصري مشترك يتناول سيرته الخالدة خلال شهر رمضان المبارك عام ١٩٨٧م أي قبيل إلتحاقي بالمدرسة لأول مرة بأربعة أشهر حيث أداها ببراعة فائقة الفنان الراحل عبدالله غيث ، بداية ظننته من الفرسان المغاوير الذين طغت شهرتهم آفاق تاريخنا العربي و الإسلامي في العصور الوسطى (٤٧٦-١٤٥٣م) و سطروا أعظم ملاحمهم البطولية فيه قبل أن أكتشف بأنه مجرد شخص عادي لا أقل و لا أكثر ، فضلا عن معاركه الحربية النادرة التي خاضها ضد أعدائه المغول الإيلخانيين و حلفائهم لا تستحق الذكر ، مع ذلك لم تمنعني مثل هذه الأمور الثانوية من الإعجاب بشخصيته الفذة نوعا ما و لقبه الأعجمي الغريب و الإفتتان بهما حتى بعد وصولي مرحلة النضج و الإدراك به و فكره الحنبلي المتطرف بين صفحات مجلة الأمة القطرية و موقف مؤيديه من أنصار الحركات السلفية المتشددة و الإرهابية في اليمن و مصر و الجزائر موقف خصومه من الشيعة و المتصوفة و السادة الهاشميين و على رأسهم إخوتي و عائلتي الذين يبغضونه حتى

الموت ، سيما بعدما إقتفيت آثار قصة حياته المثخنة بالجراح منذ أن رحلت عائلته رغما عنها عن مسقط رأسها في حران التركية بعدما غزاها المغول تحت راية إمبراطورهم المعتوه هولاكو بوحشية همجية فجة كما و لو كانوا قطعان هوجاء من الذئاب المسعورة يسيل لعابهم راكضين خلف سكانها الأبرياء الفارين من أمامهم فرار الحمر المستنفرة من قسورة دون مراعاة لحرماتهم و لا حرمات أوليائهم الصالحين و تكاياهم الصوفية الذين ظلوا يقدسونهم و يتباركون بكراماتهم و معجزاتهم الخارقة إلى حد الألوهية دون أن تفيدهم بشئ و لو على سبيل الدعاية البحتة .

و من هذا المنطلق ، بدأ هذا الفقية الموهوب منذ سن العاشرة من عمره يرث من والده عبدالحليم حقده الدفين نحو التصوف و رجالها الصوفيين الدائرين في فلك الأولياء الصالحين و لا سيما المنتمين منهم إلى آل البيت أو السلالة الهاشمية المقدسة سنة كانوا أم شيعة أم زيدية أم إباضية بعدما حولوهم إلى أصنام مقدسة تعبد ليل نهار رغم علمهم التام بأنها عديمة الفائدة لا تنفعهم و لا تضرهم بشئ ، ليظل على إثر ذلك سجينا بين قضبان منفاه الإختياري الذي دلف إليه

بمـــلء إرادتـــه و يـــدفع الـــثمن حياتـــه دون عقـــد أو إبـــرام ، منفـــى النقاء الإسلامي .

ظلـــت زنزانتـــه الرصاصـــية الموحشـــة القابعـــة فـــي ســـجن والـــي دمشـــق القلاوونـــي غارقـــة فـــي الظلمـــة و الســـكون لحظـــة زيـــارتي الإفتراضـــية لـــه دون أن تثـــبط هـــذه الأجـــواء الكئيبـــة عزيمتـــه فـــي ممارســـة شـــغفه الشـــديد فـــي الكتابـــة و القـــراءة و الـــذكر و التســـبيح و الـــرد علـــى إستفســـارات و رســـائل مريديـــه و ســـائليه وســـط كـــم هائـــل مـــن الأوراق المكدســـة مـــن حولـــه إلـــى جانـــب طعامـــه و شـــرابه الشـــهيين !! كيـــف ســـمح ســـجانوه بـــدخولها إليـــه ؟!! ألهـــذا الحـــد يخشـــونه و يخـــافون غضـــب أنصـــاره ضـــدهم ؟!!! أم أنهـــم لا يكترثـــون لغضـــبتهم إن مســـوه بســـوء أو ضـــر و مـــا تلبيـــتهم لطلباتـــه يعـــد مـــن بـــاب المـــن و الإحســـان علـــى حالتـــه التـــي يرثـــى لهـــا لا أقـــل و لا أكثـــر ؟!!! هـــذا إذا كـــان يشـــكو مـــن حالتـــه المزريـــة تلـــك أصـــلا تحـــت أقبيـــة الســـجون بإعتبـــاره زبونـــا دائمـــا لهـــن كلمـــا تكالـــب خصـــومه عليـــه ، كيـــف لا و هـــو ظـــل يصـــرح أمـــامهم بإســـتخفاف بعـــدم إكتراثـــه بفخـــاخهم المنصـــوبة لـــه مـــن قـــبلهم (إن حبســـوني فهـــي خلـــوة و إن نفـــوني فهـــي ســـياحة و إن قتلـــوني فهـــو شـــهادة في سبيل الله)

(السلام عليك يا إمام)

(و عليك السلام يا بني ، تفضل)

(ألم تضق ذرعا من بقائك الطويل في هذا السجن المظلم ؟)

(ما الضير في ذلك ؟ فما تسميه سجنا هو براري مفتوحة بالحرية المطلقة ، و ما تسميه ظلاما هو نور وهاج يملأ قلبي بالطمأنينة و السكينة)

(ألهذا الحد تشعر بالتفاؤل ؟ ألم تتعب من دخولك السجون و المعتقلات منذ شبابك و حتى هذه اللحظة ؟ و من أجل ماذا ؟ من أجل أفكار و معتقدات إسلامية فاقت ما عند قدوتك الإمام أحمد بن حنبل في تشددها و تطرفها الفقهي و جعلت معظم الناس بمن فيهم أهلك ينفرون منك أكثر من ذي قبل ؟)

(لا يهم ، ما دام الله عز و جل راض عن معتقداتي تلك فليذهب من يخالفوني إلى الجحيم)

بهذه العبارة القاطعة لقول كل خطيب إختتم ابن تيمية حديثنا المقتضب و برهن لي بما لا يدع مجالا للشك بأنه مثل غيره من الفقهاء المسلمين الهائمين في منفاهم المثالي المفضل مازالوا يصورون أنفسهم بأنهم ملائكة أنقياء مقدسين كلامهم مقدس لا ينطق عن الهوى مجردون من الخطايا و الشوائب

الشـــيطانية عبـــر إلتـــزامهم الحرفـــي بتعـــاليم الإســـلام النقيـــة كمـــا وضـــعها رســـولنا الكـــريم حســـب زعمهـــم رغـــم أنهـــم يعلمـــون جيـــدا غيـــر صـــالح لأي عصـــر أو آوان لاحـــق لعصـــره الفريـــد مـــن نوعـــه و مـــن المســـتحيل أن يحـــول البشـــر إلـــى ملائكـــة بمجـــرد تطبيقـــه الحرفـــي لهـــا و بـــأنهم و نبـــيهم الكـــريم (ص) و صـــحابته الكـــرام مثـــل غيـــرهم مـــن البشـــر يخطئـــون و يصـــيبون و الشـــوائب الشـــيطانية تمـــلأ أجســـادهم بـــدرجات متفاوتـــة مـــن قمـــة رؤوســـهم حتى أخمص أقدامهم .

الفصل الثالث عشر

موسى الصدر

يبدو لي أنني ما زلت أدور خلال رحلتي المكوكية عبر منافي البشر الغريبة الأطوار في فلك فقهائنا الأصحاء شكلا المرضى مضمونا حيث إنتقلت من معسكر السنة إلى معسكر إخوتهم الأعداء الشيعة و زرت واحدا منهم و لكن بعدما فارق الحياة داخل ثلاجة إحدى مستشفيات العاصمة الليبية طرابلس الغرب ألا و هو رجل الدين الإيراني موسى الصدر الذي أصبح في يوم من الأيام زعيما للطائفة الشيعية في لبنان بدعم من ولي نعمته الأمبراطور محمد رضا بهلوي و حليفه السوري رئيس الجمهورية حافظ الأسد بعدما أثار الفتنة الطائفية بهذا البلد الصغير الحجم و فجر الحرب الأهلية فيها عام ١٩٧٥م و أضحى واحدا من أمرائها و مجرميها الأشاوس ، فاق في إجرامه منافسه اللدود الخميني على الزعامة الروحية للشيعة هناك رغم أن كلاهما يشتركان في إنتمائهما الحوزة العلمية في قم (صنيعة السفارة البريطانية في فارس عام ١٩٢٠م) و عمالتهما لأمريكا و الغرب و قمعهما الوحشي لمعارضيهم بإسم الإسلام و الشيعة و آل بيت رسولنا الكريم (ص) !

(حمدا لله على سلامتك يا شيخنا)

(هل تمزح معي يا هذا ؟! ألا تراني أحتضر و بيني و بين إنتقالي إلى الرفيق الأعلى ؟!!!)

(من يسمعك تقول ذلك يعتقد بأن الأجل وافاك و أنت قرير العين)

(ماذا تقصد ؟)

(أقصد أن مجيئك إلى هنا ليس سعيا وراء مناقشة الكتاب الأخضر دستور ليبيا الجماهيري و مدى مطابقته للإسلام و شريعته السمحاء ، بل أتيت لغاية دنيئة في نفس يعقوب مرتبطة بالحرب الأهلية في لبنان و دعم نفوذ بلدك إيران السياسي هناك ....)

(ويحك ! كيف تجرؤ على مخاطبتي هكذا ؟! هل نسيت من أنا ؟!!!)

(الإمام آية الله العظمى موسى الصدر سليل أسرة الصدر العراقية الأصل ، أعرف)

(بل سليل آل البيت و على رأسهم جدي الحسين رضي الله عنه إبن أمامنا الأعظم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه و

سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء إبنة رسولنا الكريم (ص) من بني هاشم أيها الأحمق)

(حقا ؟ بناء على ماذا ؟)

(بناء على إعتباري من سلالة نبوية مقدسة أكثر إلتزاما و فهما للإسلام بشكل سليم من غيرهم من المسلمين الذين لا ينتمون لها و لا يعترفون بها و فقهائها العظام و أئمتها الأطهار الإثني عشر)

(و من بينهم الزعيم الليبي معمر القذافي ، أليس كذلك؟)

(طبعا ، لم يبق إلا هذا السني البدوي الأحمق القادم من جوف الصحراء الليبية الكبرى حتى يعلمنا أصول ديننا الإسلامي الحنيف و شريعته السمحاء عبر دستوره السخيف المسمى بالكتاب الأخضر ، هه !)

(على أساس أنك تعرف الإسلام شكلا و مضمونا أفضل منه أيها المتطرف المنغلق في فكرك الديني ؟ ماذا تظن نفسك يا شيخنا حتى تكفر إخوانك المسلمين و تحقر من شأنهم على أسس عرقية و طائفية و مذهبية و طبقية و سلالية كما يحلو لك ؟ أما يكفي أنك أشعلت نار الفتنة الطائفية بين المسلمين في الشرق الأوسط ؟ أما يكفي أنك أوصلت طاغية دموي من

الطائفة العلوية إلى سدة الحكم في بلده سوريا ألا و هو حافظ الأسد ليحكمها هو و إبنه بشار بالحديد و النار حتى يومنا هذا ؟ أما يكفي أنك أشعلت نار الحرب الأهلية في لبنان عن طريق حركة أمل و حزب الله بمن فيهم نبيه بري و عباس الموسوي و محمد حسين فضل الله و محمد مهدي شمس الدين و حلفائك الثوار الفلسطينيين و أرتكبت معهم و مجازر بشعة يشيب لها الولدان ضد الأبرياء الذين لا حول لهم و لا قوة و عثت في هذا البلد المتناهي الصغر فسادا دون حياء أو خجل ؟ و بإسم من ؟ بإسم آل بيت رسولنا الكريم (ص) الذين بت تقدسهم و تعبدهم أكثر من الله عز و جل ؟ لكن الحق ليس عليك ، الحق على فقهاء الظلام الشيعة في حوزة قم الذين غسلوا دماغك بهذا الهراء العفن ، الحق على اللبنانيين الحمقى و لا سيما الشيعة منهم الذين رغم صغائرك و كبائرك و جرائمك القذرة التى إرتكبتها ضد بلدهم الآيل للسقوط خلال الحرب الأهلية ما زالوا يذكرونك بخير و يعتبرونك ملاكا طاهرا لا ينطق عن الهوى و كلامه وحي يوحى و من أجلك وصموا معمر القذافي و شعبه الليبي الذين فهموا الإسلام و روحه السامية بشكل حداثي سليم

يــتلاءم مــع العصــر أفضــل منــك بالخيانــة لأنهــم قــاموا بإختطافــك و قتله و أنت تستحق ذلك و أكثر)

(أغرب عن وجهي لا أم لك ، أغرب عن وجهي .....)

لــم ألــق بــالا لســيل الشــتائم المنهمــر التــي صــوب ســهامها الناريــة نحــوي و لا حتــى صــدها بالمثــل بعــدما أدركــت خــلال حــواري المقتضــب معــه بأنــه لــم يعــد مجــديا إقناعــه و أمثالــه مــن فقهــاء الشــيعة عربــا و عجمــا و مــن ســار علــى نهجهــم إلــى يــوم الــدين بجــدوى التخلــي عــن أفكــارهم الطائفيــة المريضــة تلــك حيــث توارثوها جيلا بعد جيل

تاركــا إيــاه علــى هــذا الحــال يــنغمس فــي لجــة بحــر منفــاه الشــيعي السلالي المقدس كما يحلو له من المهد إلى اللحد .

الفصل الرابع عشر

باسترناك

بينمـــا اقفلـــت بـــاب منزلـــي متجهـــا صـــوب مقـــر عمليفـــاذا أفاجـــأ بوقـــوف شـــخص يرتـــدي معطفـــا ازرق و يعتمـــر قبعـــة رماديـــة خاصـــة بعامـــة النـــاس و قـــد امـــتلاء وجههبالتجاعيـــد و شـــعره بالمشـــيب دون ان يفـــت كـــل ذلـــك فـــي عزيمتـــه و صـــلابته (انـــا لا اصـــدق مـــا اراه ، الاديب الروسي الكبير باسترناك هنا ؟!!)

(انت الصحفي مازن غافر ، اليس كذلك؟)

(هو بعينه)

(لقد كنت بانتظارك منذ الصباح الباكر)

(تفضل بالدخول)

(شكرا)

دخلـــت مـــع باســـترناك الـــى منزلـــي متجـــاهلا دوام العمـــل الرســـمي و امـــتلأ وجهـــي بالســـرور المكتـــوم (أظـــن ان بقائـــك الطويـــل تحـــت البـــرد يجعلـــك بحاجـــة ملحـــة الـــى فنجـــان كبيـــر مـــن القهـــوة الساخنة ، اليس كذلك ؟)

(لا داعي لان تتعب نفسك ، فانا معتاد على هذه الأجواء منذ ان تركت بلدي روسيا بعد قيام الثورة البلشفية بعشر سنوات)

(ياه ! الهذا الحد ؟!!)

(و اكثر)

(و ما السبب ؟!!)

(البلاشفة انفسهم ، البلاشفة و راسهم لينين و ستالين و الذين كنت اظنهم مخلصين للشيوعية و مبادئها النبيلة التي ناضلت و رفاقي من اجلها و

اثمرت جهودنا عن انتصار الثورة البلشفية على القيصر و نظامه الرجعي الاقطاعي عام ١٩١٧م اضحوا يستغلونها لخدمة مصالحهم الشخصية)

(كيف ؟!!)

(رفضوا تقرير حق المصير للشعوب الخاضعة للإمبراطورية الروسية و اجبروها على اعتناق الشيوعية بالقوة اسوة بالروس ، و قضوا على جميع الطبقات الاجتماعية ما عدا العمال و الفلاحين الذين حولوهم الى برجوازيين و اقطاعيين جدد مقابل

ان يكونوا عبيدا لرئيس الحزب الشيوعي الحاكم ، و حاربوا الدين و القومية و الوطنية داخل البلاد و خارجها ، و كل هذا تم بالحديد و النار)

(يا الهول ! اهذه هي الشيوعية السوفيتية ؟)

(للآسف نعم ، حاولت عبثا ان اوقفهم عن حدهم و اثني عزمهم عن ذلك شارحا لهم ما هكذا تكون الشيوعية و ما هكذا هي مبادئها ، و لكن يا فصيح لمن تصيح ، وقفوا بالمرصاد لي و سعوا لقتلي و مطاردتي في ارجاء البلاد و خارجها ، فهاجرت الى المانيا قادما من فنلندا هاربا منهم خلال رحلة ماراثونية عبرت فيها الجبال و القفار و الثلوج و الانهار تحت لهيب البرد و الحر و الرياح و الناس ، فلقد فقدت الامل منهم)

(افهم مما ذكرت ان تحفتك الأدبية رواية (دكتور زيفاجو) هي السيرة الذاتية لك ؟)

(بالتأكيد ، اضافة الى انها تعبير واضح عن روسيا ما بعد الثورة البلشفية ، ما بعد الأمل الذي تحول الى سراب يحسبه الظمآن ماء)

(لكن رغم معارضتك للنظام الشيوعي السوفيتي و ابراز عيوبه رفضت جائزة نوبل للآداب الممنوحة لك عام ١٩٥٤م تقديرا لتلك المواقف ؟)

(لأنها كانت مسيسة و لم تقدم لي تكريما لي و لأعمالي الأدبية ، ثم ان مشكلتي مع النظام الشيوعي السوفيتي و ليس مع الشيوعية فان مازلت مؤمن بها حتى يومنا هذا ، لأتعرض بسبب ذلك الى قمع الرأسماليين الذين حموني عندما لجأت اليهم من قمع ابناء جلدتي ، فأعيش بين نارين و غربتين لا نهاية لهما و لن ينقذني منهما سوى الموت) .

الفصل الخامس عشر

هيرمان هيسه

إلتقيت به في بيته الريفي المتواضع الذي حصل عليه بشق الأنفس وسط غابات الشمال السويسري الهادئة بحثا عن مكان يتلاءم مع رومانسيته الروحية المبالغ فيها لا عن سعرها الزهيد كما هي عادة معظم الناس هذه الأيام حيث كان منغمس بلهفة شديدة في تقليم أشواك ورود بستانه الملون رغم صغر حجمه دون أن يكترث لمن حوله من طير و حيوان و بشر يمرون أمامه و أنا واحد منهم (صباح الخير يا سيد هيرمان)

(صباح الخير يا مازن ، تفضل)

(شكرا ، أراك يا سيد هيرمان منشغلا حتى أخمص قدميك في تشذيب البستان بسعادة مفرطة ، أيجعلك هذا العمل سعيدا للغاية إلى هذا الحد ؟)

(و أكثر ، ما أروع أن تستمع بما تهواه من أعمال و أمور و أمارسها بملء إرادتي دونما إزعاج من أحد يذكر)

(ياه يا سيد هيرمان ، ألهذا الحد تعشق الوحدة و الإنعزال عن الآخرين)

(أليس البعد عن الناس غنيمة يا عزيزي؟)

(البعد عنهم غنيمة ؟! لم أفهم ؟!!)

(إسمع يا مازن ، الناس ضجيج يفسد كل شئ جميل في هذه الحياة بأخلاقهم الفاسدة و سلبياتهم و جشعهم و أطماعهم الدنيوية و رغباتهم الشهوانية التي لا تنتهي و لا تشبع هوسهم الجنوني في إلتهام ثروات الأرض و خيراتها الوفيرة إلتهام الوحوش الضارية لفرائسها الضعيفة اللاتي لا حول لها و لا قوة دون رحمة أو شفقة ، بمعنى آخر أن وجودهم مثل عدمهم سواء أكانوا أخيارا أم أشرارا)

(هذا حكم قاس يا سيد هيرمان ، ليس كل البشر شياطين ، فمنهم الطيب و منهم الشرير ، و منهم الصالح و منهم الطالح ، بل إن في جوف الواحد منهم تتصارع الملائكة و الشياطين حوله فيمن سيكون له الغلبة في نهاية المطاف كي يقود زمام أموره فيما يصبو إليه كما يحلو له .....)

(و ما جدوى ما ذكرته و قد دمروا أمنا الأرض و حياتها الرومانسية الجميلة عبر حروب دموية أهلكت الحرث و النسل و نشرت الخراب و الدمار و غرقوا في دمائهم و قطعوا أرحامهم و قتلوا الملايين من إخوتهم و إخواتهم بعدما

إستعبدوهم و ظلموهم و قمعوهم بوحشية عنصرية في سبيل العرق أو الجنس أو اللون أو الدين أو القبيلة أو الطائفة أو القومية أو الوطن ؟ بل إن الطيور و الحيوانات و الحشرات و النباتات لم يسلموا من شرهم المستطير الذي يفوق شرور الشيطان الرجيم و حقده الدفين عليهم ؟! و تقول لي أن من بينهم الصالح و الطالح ؟!! من الأفضل لأرضنا الجميلة أن تكون خالية الوفاض تماما من أمثالهم .....)

(و من سيعمرها إذن إذا لم يكونوا موجودين ؟ فالملائكة و لا الشياطين و لا الجن قادرون على إعمارها ، فالأرض بلا ناس جنة تداس)

(ها ها ها ، أما زلت تصدق هذا الهراء المحرف و الموجود في كتب التوراة و الإنجيل و القرآن الكريم و الذي يزعم بأن الله عز و جل خلق البشر ليعمروا الأرض و يجربوا تجاربهم الصائبة و الخاطئة على طبيعتها العذراء بأمر منه ، و الحقيقة أنه خلقنا كي نكون فئران تجارب يخوض على أجسادنا الطينية و عقولنا الهلامية أوامره و نواهيه السماوية بمساعدة أعوانه الملائكة و الشياطين طبعا ، بعد الإنتهاء منها يضع بعضنا في الجنة و البعض الآخر في النار)

لـــم أواصـــل جـــدلي العقـــيم الهـــادئ هـــدوء مـــا قبـــل العاصـــفة مـــع مؤلـــف (دميـــان) و (ســـدهارتا) و (بيـــت الـــدمى الزجاجيـــة) و غيرهـــا مـــن قصصـــه و رواياتـــه التـــي طالعـــت فصـــولها المتسلســـلة المنشـــورة فـــي مجلـــة الـــيمن الجديـــد فـــي تســـعينات القـــرن العشـــرين حيـــث مـــا لبثـــت أن تركتـــه لشـــأنه بعـــدما تناولـــت معـــه عصـــير البرتقـــال الطـــازج و أدركـــت علـــى مـــا يبـــدو شـــدة تمســـكه برومانســـيته الروحيـــة و طابعهـــا الهندوســـي الأصـــيل حيـــث مـــا يـــزال غارقـــا فـــي منفاهـــا المظلـــم بمـــلء إرادتـــه تحرضـــه علـــى عـــدم الإمتثـــال لأيـــة أغـــلال تقيـــد أفكـــاره و معتقداتـــه الحـــرة النابعـــة مـــن ضـــميره الإنســـاني النقـــي حتـــى و لـــو كانـــت صـــادرة مـــن البشـــر و خـــالقهم الله ســـبحانه و تعالى و أديانه السماوية عامة و دينه المسيحي خاصة .

الفصل السادس عشر

الخميني

ما إن رأيته في مطار مهراباد الدولي في طهران ينزل من على متن طائرة تابعة لشركة إير فرانس إلى إيران قادما من فرنسا حتى زعم أنصاره الإيرانيين الحمقى البلهاء المحيطين بموكبه الضخم في شرف إستقباله رافعين عقيرتهم وقتها: خرج المهدي من سردابه المقدس و هم يعلمون علم اليقين بأنه مجرد مهدي مزيف صنعته أمريكا و الإخوان المسلمين في منفاه العراقي خرج من سردابه المزيف الكائن بمنفاه الفرنسي في (نوفل لوشاتو) قرب باريس و ليس من سامراء .

رغم تناقض التصريحات من الدول الكبرى إلا أنها تؤكد عمالة الخميني لفرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي و أمريكا و إسرائيل من تحت الطاولة سعيا وراء إبقاء إيران في شرطي الخليج العربي و إنقاذها من السقوط في يد الثوار الشيوعيين و إثارة الفتنة الطائفية و العرقية بين المسلمين بعدما كانت نائمة ردحا من الزمن قبل أن يوقظها حضرته بأمر منهم مقابل إسقاطهم لحليفهم السابق الشاه ، و لو أراد النظام العالمي إسقاطَ ثورة إيران الشيعية لأسقطها كما أسقط ثورات العرب السُنِّية .

و في الحقيقة لم يكن الخميني الا مختاراً ثقفياً آخر غارق في منفاه الإختياري الذي توارثه مثل غيره من إخوانه الإيرانيين جيلا بعد جيل منفى التشيع الصفوي الذي شق الديانة الشيعية بولاية الفقيه كما شق المختار الثقفي الإسلامَ بأضاليل التشيع حيث لم يكن الا امتدادا لإسماعيل الصفوي، مروراً بالبويهي والقرمطي، والحسن الصباح، والمطهر اليمني، والمعز الفاطمي، وعلي بن الفضل، والمنصور بن حوشب، وعبد الله بن حمزة إلى آخر سلسلة القتلة والمجرمين في تاريخ التشيع..فكان الخميني مجنوناً خطراً على حَدِّ قول موسى الصدر الزعيم الشيعي الذي قُتل في ليبيا في ظروف غامضة ورجحت بعضُ الروايات ضلوع الخميني ذاته في قتله.. .

ويكفي دليلاً على خسة الخميني غَدرُهُ بالمَرجِعَين الشيعيين الكبيرين (الشيرازي وشريعتمداري)، وكانا قد أنقذاه من الإعدام أيام الشاه حين رفعاه- دون استحقاق- إلى رتبة الاجتهاد والمرجعية التي لم يكن قد بلغها بَعد؛ لأن القانون الشاهنشاهي كان يمنع الحكم على المراجع بالإعدام؛ فرفعاه ليُسقطا حكم الإعدام عنه.. ثم جازاهما بعد وصوله للحكم جزاء سِنمّارفقتلهما مثلما قتل الآلاف من أبناء شعبه المعارضين لحكمه رجالا و نساء و أطفالا و شيوخا بعدما

عـذبهم تعـذيبا وحشـيا و قطـع أوصـالهم و بتـر أعضـائهم التناسـلية و إغتصـبهم عـن طريـق أعوانـه الفاسـدين أخلاقيـا و علـى رأسـهم نجلـه الوحيـد أحمـد الـذي مـارس المعاصـي و الفـواحش مـا ظهـر منهـا أو بطـن تحـت حمايـة والـده الأعظـم و عمامتـه المقدسـة و نسبه المزيف إلى آل بيت رسولنا الكريم (ص) .

و فـي المحصـلة كـان فضـل الخمينـي علـى الشـيعة عظيمـاً كفضـل هرتـزل علـى اليهـود.. فقـد اسـتنقذهم مـن التشـرذم كمـا اسـتنقذ هرتـزل اليهـودَ مـن الشـتات، وكـان لهـم خيطـاً ناظمـاً وسـلكاً جامعـاً؛ فأقـام الدولـةَ لأتباعـه ، فـي الوقـت الـذي حـرص النظـامُ العـالمي فيـه أن يظَـلَّ المسـلمون الحقيقيـون بـلا دولـة ؛ فعمـل علـى إسـقاط كـل دولـة يُظـنُّ فيهـا أنهـا يمكـن أن تكـون الرايـة الجامعـة للمسـلمين حتـى لـو كانـت فـي صـحراء مـالي القاحلة .

وكمـا تمـدد اليهـود فـي بـلاد المسـلمين الرخـوة تمـدد الشـيعة أيضـاً ، لـم تكـن القـدس فـي يـومٍ مـن الأيـام هَمَّـاً مـن همـوم إيـران.. اللهـم إلا علـى الصـعيد الإعلامـي والـدعائي.. كانـت لحنـاً يفتـتح بـه حسـن نصـر الله وَصَـلَاتِه الكربلائيـة أمـام الجمـاهير قبـل أن يـذبح أطفـال سـوريا بخنجـر عبـد الـرحمن بـن ملجـم، وكوفيـةً مهترئـة يرتـديها خـامنئي فـي لقاءاتـه الرسـمية بينمـا جنـوده يقطعـون

رقـــابَ المســـلمين فـــي العـــراق بســـيف شـــمر بـــن ذي الجوشـــن، وكَابـــاً عســـكرياً يَعتَمِـــرُه قاســـم ســـليماني وهـــو يســـتبيح حلـــب بجـــيش عبيـــد الله بـــن زيـــاد!! فلـــم يكـــن ســـيد المقاومـــة الجعجـــاع حســـن نصـــر الله فـــي الحقيقـــة أكثـــر مـــن قرمطـــي آخـــر قتـــل مـــن المســـلمين فـــي خمـــس ســـنوات أضـــعاف مـــا قتـــل بـــيغن ودايـــان وشـــارون وشامير ورابين وبيريز ونتنياهو وباراك مجتمعين في ستين سنة .

الفصل السابع عشر

التشي جيفارا

روى لي والدي كيف إنتابه و زملاؤه أثناء دراسته الجامعية الأولى في سوريا (قبل نقله إلى الجزائر من سبعينات القرن العشرين بعدما أرسلوه و من معه ضمن إحدى المنح الدراسية إلى هناك بالخطأ) الحزن الشديد لحظة سماعهم بمصرع الثائر الأرجنتيني أرنستو جيفارا المعروف بإسمه الفارسي المستعار آلتشي جيفارا (الصديق الوفي) في غابات بوليفيا الوعرة على يد القوات الحكومية عام ١٩٦٨م ، فتظاهروا في ميدان المزة بالعاصمة السورية مكلومين لمقتله و غاضبين و ساخطين من قتلته الرأسماليين مرددين بأعلى صوتهم أغاني مطربهم المصري الجاد المفضل لديهم كيساري مخلص مثلهم الشيخ إمام التي كانت تدور حول مثلهم الأعلى في عنفوانهم الثوري اليساري ضد الظلم و الطغيان الإمبريالي الذي يمثله الغرب الرأسمالي الإستعماري و على رأسهم بلد العم سام الذي حاربه بطلنا المغوار بقية عمره بعدما ثار هو و رفيقه قائد الثورة الكوبية فيديل كاسترو ضد حليفه الرئيس باتيستا و إسقاطه من الحكم عام ١٩٥٩م قبل أن يختلفا و يعاديا بعضهما البعض إثر أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢م

إثـــر إكتشـــافه أن ثـــورتهم الشـــيوعية العظمـــي تحولـــت علـــى يـــد كاســـترو إلـــى ثـــورة أمريكيـــة الصـــنع كمـــا حـــدثت لاحقـــا مـــع نظيرتهـــا الخمينيـــة فـــي إيـــران ، مـــا دفعـــه إلـــى مغـــادرة كوبـــا مطـــرودا منهـــا عـــام ١٩٦٤م .

و أنـــا أطـــالع ســـيرته المثيـــرة للإهتمـــام و الجـــدل معـــا طـــاف فـــي خـــاطري ســـؤال محيـــر مـــا زال يتـــردد فـــي ذهنـــي مـــرارا و تكـــرارا ، مـــا الـــذي يـــدفع طبيبـــا ثريـــا ناجحـــا مثلـــه إلـــى تـــرك مهنتـــه الرفيعـــة المقـــام و المقـــال و الهجـــرة مـــن بـــلاده الأرجنتـــين و متـــع الحيـــاة فيهـــا الســـلبية و الإيجابيـــة بمـــن فيهـــا إيفـــا بيـــرون (إيفيتـــا كمـــا يســـميها الأرجنتينيـــون علـــى ســـبيل المجاملـــة أو الدعابـــة)زميلتـــه فـــي الدراســـة الجامعيـــة و ســـيدة الأرجنتـــين الأولـــى لاحقـــا فـــي عهـــد زوجهـــا الـــرئيس خـــوان بيـــرون (١٩٧٠-١٩٧٤م) ســـعيا وراء أفكـــاره الشـــيوعية الثوريـــة المتطرفـــة و نشـــرها فـــي الآفـــاق ؟ حلـــم كولومبيـــا الكبـــرى ! ذلـــك الحلـــم الـــذي ســـعى قدوتـــه الـــزعيم الفنزويلـــي ســـيمون بوليفـــار مـــن خلالـــه إلـــى توحيـــد قـــارة غورانيـــا لمواجهـــة الإســـتعمار الاوروبـــي الجـــاثم و أذنـــابهم الأمريكيـــون علـــى أراضـــيها قـــد إســـتطاعته قبـــل أن ينهـــار علـــى يـــد رفاقـــه الثـــوار فـــي بوليفيـــا و الأرجنتـــين عـــام ١٨٣٤م ليقـــرر تلميـــذه النجيـــب و بعـــد رحلـــة مكوكيـــة محفوفـــة بالمخـــاطر بـــين ثنايـــا طبيعتهـــا القاســـية الشرســـة

عبر دراجته النارية دامت ثلاثة أعوام تحقيق الحلم المنشود السالف الذكر و لكن هذه عن طريق العنف الثوري الشيوعي و تغييره الجذري المتطرف للأوضاع المأساوية المزرية لسكان قارته الحمراء الفقراء و المظلومين ضد أعدائهم الأغنياء الظلمة الرجعيين الظلاميين و حلفائهم الإمبرياليين الأمريكيين دون أن يدرك مليا فداحة ما أوصله منفاه الثوري الغارق في أمواجه المظلمة حتى أخمص قدميه إلى ما هو فيه من غباء فكري خيالي أبعده عن تفحص الواقع المعاش و معطياته المريرة و المتمثلة بأن النظرية و التطبيق لا يتفقان بالضرورة و أن أفضل طريقة للقضاء على المرض هو التعايش معه كي نعرف نقاط ضعفه وفق المثل الشعبي المحلي القائل (اليد الذي ما تقدرش تكسرها حبها) و أن الوحدة الإندماجية بالقوة لدول قارة بآسرها رغم تبنيهم لغة واحدة و دين واحد يعتبر حل غير عملي و منطقي و عواقبه وخيمة ، و لذا فالخير أمور أوسطها أي الوحدة الكونفيدالية أو الفيدرالية و لكن بالتدريج القائم على مبدأ المساواة في الحقوق و الواجبات كما حدث في إتحاد ميركوس عام ١٩٩٧م ..... و غيرها من الأمور و الهفوات العابرة التي ندم على إرتكابها سهوا و جهلا و لكن بعد خراب البصرة بعدما تلقى طعنة الغدر الغير متوقعة

مـــن النـــاس الـــذين دافـــع عـــنهم و حقـــوقهم العادلـــة ضـــد مـــن ظلمـــوهم و ســـلموه إلـــى أعدائـــه علـــى طبـــق مـــن ذهـــب دون رحمـــة أو شـــفقة ليكـــون جـــزاؤه جـــزاء ســـنمار رغـــم أنهـــم مـــا زالـــوا إلـــى يومنـــا هـــذا يرفعـــون صـــوره و شـــعاراته الثوريـــة و يتشـــدقون بمبادئـــه اليسارية ليل نهار دون حياء أو خجل .

الفصل الثامن عشر

جمال الدين الأفغاني

يبدو أنني سأظل في دائرة المنفى الثوري و ظلامه المحيط بالقابعين في لجة بحره العميق ، و تموج أمواجها العاتية هذه المرة على العالم الإسلامي حيث قدم منها رجلا عظيم الشأن بين قومه و إخوانه المسلمين سنة و شيعة و زيدية و إباضية بعدما أشعل فيهم نار الثورة و التمرد ضد حكامهم الطغاة و حلفائهم من المستعمرين الأجانب و روح التجديد و الإجتهاد الفقهي في تعليمهم الديني ، كيف لا و هو قادم من أقوى بلد إسلامي آنذاك ألا و هو أفغانستان الذي إنتصر على الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس بريطانيا أعوام ١٨٤٠م و ١٨٧٨م و ١٩١٩م و على إمبراطورية الجليد روسيا عامي ١٨٨٥م و ١٨٨٧م و ظل بلدا مستقلا لم تطأه أقدام المستعمر الأجنبي طوال قرنين من الزمان قبل أن يسقط على أيديهم للمرة الأولى في تاريخه عندما إجتاحته جحافل الجيش السوفيتي عام ١٩٧٩م .

لقد كان جمال الدين قبل أن يكون رجل دين حنفي و فيلسوف إسلامي ثائر قائد عسكريا من قادة الجيش النظامي الذين خاضوا غمار أولى حروب بلادهم ضد بريطانيا فيما بات

يعرف بالحرب الأنجلو – أفغانية (١٨٤٠-١٨٤٤م) في عهد أميرهم دوست محمد خان (١٨٢٣-١٨٦٣م) و إنتهت بإنتصارهم على الجيش البريطاني إنتصارا ساحقا ، لكنه جوبه بتواطؤ بعضا من زملائه مع الإنجليز و لا سيما المنتمين لقبيلة الكلغز البشتونية التي تمتد روابطها العشائرية إلى الجانب الباكستاني لممر خيبر التاريخي منذ آلاف السنين المتحالفين مع عدوه اللدود الأمير شير علي الذي عزله من منصبه بعدما تولى العرش إثر وفاة والده دوست خان عام ١٨٦٣م ، و لم يكتف بهذا فحسب ، بل قام بإعتقاله و تعذيبه ثم نفيه لاحقا إلى الهند عام ١٨٦٦م ، و من منفاه الإجباري بدأ يشن حربا سلمية هادئة ضد الإنجليز داخل مستعمراتهم و البلدان المستقلة الحليفة كاشفا أمام الجميع عن أساليبهم الماكرة و مؤامراتهم الدنيئة ضد من تسول له نفسه محاربتهم أو إيقافهم عند حدهم و التي جعلت الشيطان الرجيم تلميذا نجيبا لديهم بعدما تفوق شرهم المستطير على وساوسه الساذجة الحمقاء أضعافا مضاعفة بفضل الله عز و جل ، و هذا ما لم يدركه مليا و هو طريح الفراش يحتضر و يستعرض أمامي مسرورا صفا محيطا به من تلاميذه النجباء غاندي و محمد علي جناح و قائد ثورة ١٩١٩م سعد زغلول

و أحمد عرابي زعيم الثورة العرابية عام ١٨٨٢م و محمد المهدي زعيم الثورة المهدية عام ١٨٨٧م و رفيق غربته الإمام محمد عبده و رجال الدين الشيعة الذين قادوا الثورة الدستورية في إيران عام ١٩٠٦م .... و غيرهم من زملائهم الثوريين في أصقاع عالمنا الإسلامي الشاسع الذين حلوا بثوراتهم الوطنية الغير واقعية الموجهة بمنتهى الغباء ضد الإنجليز و أعوانهم المحليين المشكلة بمشكلة أكبر و راهنوا على شعوبهم المتخلفة الغبية التي أفسدت بحماقتها و عاداتها و تقاليدها الرجعية البالية المتوارثة جيلا بعد جيل و فهمها المتخلف للإسلام كل شئ دون أن يكترث لأخطائهم الجسيمة أو يلقى لها بالا طالما يحاربون عدو الله و عدوه اللدود السالف الذكر بشراسة و يحافظون على دينهم الإسلامي بطريقة خاطئة و متخلفة تعود بالمسلمين إلى الوراء في سبيل حمايتهما من الوقوع فريستين سهلتي المنال بيد المستعمر الكافر .

الفصل التاسع عشر

محمد نجيب

لم أنس ذلك اليوم من صيف ١٩٨٢م عندما زرت قاهرة المعز و لفت نظري خلسة أثناء تجوالي في أحيائها الشعبية التراثية و لا سيما حي السيدة زينب وجود رئيس الجمهورية السابق محمد نجيب في ضيافة فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي و المعروف لدى جموع المصريين بالشيخ أمين رغم ميوله الإسلامية المتطرفة و مواقفه المثيرة للجدل و لعل أبرزها صلاة الشكر التي أداها في مقر البعثة الأزهرية بالجزائر إبتهاجا و فرحا بهزيمة أبناء جلدته على يد إسرائيل خلال حرب ١٩٦٧م و فتواه النارية بتكفير الفيلسوف فرج فودة و إهدار دمه عام ١٩٩٢م لتقدم عناصر جماعة التكفير و الهجرة على أغتياله عام ١٩٩٣م بموجبها ، ما الذي يدفع أول رئيس للجمهورية و أول مصري يحكم أرض الكنانة في العصر الحديث إلى محادثة رجل كهذا ؟ أهي طلب التوبة النصوح من الله عز و جل عما إرتكباه من ذنوب جسام لطخت شرف صحيفة أعمالهما الدنيوية ؟ أم بلوغهما الكبر عتيا يتشاكيان غدر الزمان ؟ أم عدوهما اللدود جمال عبدالناصر ؟ على ما يبدو أن الأخير هو العامل المشترك

بينهما لما تجرعاه من ظلم و قهر مسلط عليهما من قبله ردحا من الزمن و لا سيما الأول الذي عانى من إضطهاد خلفه الذي أطاح به و خلعه من الحكم عام ١٩٥٤م و شره المستطير الموجه نحوه و أولاده وصلت إلى محو شخصيته و ذكراه من الذاكرة الجماعية للمصريين و كتب التاريخ و المناهج الدراسية المحلية بحيث لم يعودوا يذكرون أدبياتهم و أحاديثهم اليومية سوى عبدالناصر كصانع لثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م و أول رئيس لمصر عام ١٩٥٣م دون حياء أو خجل رغم أنهم يعلمون علم اليقين بأن ما سبق هراء مفتعل من قبل السلطات الرسمية حتى وقتنا الحاضر و أن قائد الثورة الحقيقي و مؤسس النظام الجمهوري في بلادهم الذي حل محل حكم الأسرة العلوية الجاثم على صدورهم زهاء قرن من الزمان هو محمد نجيب بجلالة قدره ، ليطويه النسيان في منفاه المظلم على يد تلاميذه الصغار الناكرين لمعروفه الجميل بحقهم و على رأسهم عبدالناصر و رفيق دربه عبدالحكيم عامر بعدما أوصلهم إلى سدة الحكم ليتحولوا على إثر ذلك هم و من سار على نهجهم إلى يوم الدين من مؤسسي جمهورية العسكر الجاثمة على صدور أبناء أرض الكنانة و قلوبهم و عقولهم الصدئة حتى وقتنا الحاضر إلى ملوك

جمهـــوريين مـــزيفين يقلـــدون ولـــي نعمـــتهم الســـابق الملـــك فـــاروق شـــكلا و مضـــمونا و يعيشـــون فـــي بلادهـــم فســـادا إلـــى يومنـــا هـــذا دون حياء أو خجل .

الفصل الثاني و العشرون

المهدي بن بركة

ما إن إطلعت على سيرته العابرة بين سطور الجزء السابع من (الأعلام) كتابي المفضل الذي لم أمل من قراءته قط منذ الصف السادس الإبتدائي حتى إكتشفت أمامي شخصية فذة لا يشق لها غبار في تاريخ المغرب الحديث و نضال أبنائه التحرري ضد المستعمر الأجنبي و لا تقل شأنا عن غيرها من شخصيات الرعيل الأول من المناضلين الوطنيين الذين لم يفعلوا ما فعلوا إلا سعيا وراء كسب ود المغاربة الجهلة و إرضاء لغرورهم الغبي الساذج و الحفاظ على زعاماتهم الهشة لجماهيرهم العريضة الشبيهة بظاهرة صوتية لا تهش و لا تنش ، و مع ذلك تميز صاحبنا عن هؤلاء بشعبيته الطاغية داخل بلاده و خارجها و فاقت ما لدى زملائه في حزبه القديم (الإستقلال) و على رأسهم علال الفاسي و الملك محمد الخامس بفضل أفكاره اليسارية العالمية ذات الطابع الإنساني البحت التي ناضل من أجلها بقلمه دون أن يحمل مسدسا أو بندقية و يطلق منهما رصاصة واحدة على معارضيه الذين أردوه قتيلا في أرض المهجر دون سابق إنذار و سحر بيانه العذب عذوبة الفرات في خطاباته الحماسية باللغتين العربية و

الفرنسية الملهب لمشاعر السواد الأعظم من شعوب العالم الثالث بمن فيهم شعبه المغربي الناكر لمعروفه منذ زمن طويل و الغارق في طاعته العمياء لأسيادهم الطغاة من ملوك الأسرة السجلماسية الحاكمة حتى وقتنا الحاضر .

هالني منظر جثته المددة المقطعة الأوصال في مشرحة إحدى المستشفيات الباريسية حيث كدت أتقيأ من بشاعة ما رأيت و يشيب له الولدان بعدما أقدم القتلة على تقطيع جسده إربا إربا بأسياخ حادة دون رحمة أو شفقة كما لو كان عجلا معلقا بإحدى المسالخ الشعبية المحلية المشبوهة في عقر داره يذبح علنا أمام الملأ و لكن هذه المرة في مقر السفارة المغربية في فرنسا ! و بأمر من ؟! بأمر تلميذه النجيب في اللغة العربية و القانون مولانا المعظم جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه ؟!! أما ما يكفي أن والد الأخير و سلفه محمد الخامس طيب الله ثراه إضطهد بن بركة و قمعه و طرده من حزب الإستقلال لصالح خله الوفي أحمد بلفريج رغم أن الأول كان و زملائه وراء إعادته و إبنه و ولي عهده الحسن الثاني من منفاهما المدغشقري إلى عرشهما السجلماسي عام ١٩٥٣م بعدما خلعه المستعمرون الفرنسيون منه عام ١٩٣٢م ؟ أما يكفي أن زميله علال الفاسي الذي أقام الدنيا

و لم يقعدها ضد الرئيس المصري جمال عبد الناصر لإعدامه سيد قطب لم يحرك ساكنا حيال مصرعه و لو بأدنى شفه ؟ و من أجل ماذا ؟ من أجل كرسي خشبي أندلسي الطراز مرصع بالذهب و الجواهر البراقة إسمه العرش السجلماسي الذي يدعي أبناؤه إنتسابهم إلى آل بيت رسولنا الكريم (ص) ؟ أليس هو ذاك العرش الذي سلم المغرب للمستعمرين الفرنسيين على طبق من ذهب عام ١٩١٢م و تحالف معهم ضد زعيم جمهورية الريف الثائر عبد الكريم الخطابي عام ١٩٢٥م و من قبل هذا سلم مدينتي سبتة و مليلية للمستعمرين الإسبان عامي ١٤٨٦م و ١٥١٩م ؟! فعلام كل هذا الغضب المحموم الملكي الموجه ضده و الذي وصل إلى حد القتل ؟ أبسبب تأسيسه حزبا يساريا إسمه الإتحاد الإشتراكي للقوات الشعبية الداعي إلى إلغاء النظام الملكي السجلماسي في المغرب و إستبداله بجمهورية إشتراكية ديمقراطية و إلغاء إتفاقية الإستقلال المزيفة مع فرنسا عام ١٩٥٦م و إستبدالها بأخرى تحقق الإستقلال الكامل و الناجز لبلاده عن فرنسا و إسبانيا ؟ و لكن بعد ماذا ؟ بعد خراب البصرة ؟ بعدما ربط و زملائه قضية بلاده بقضية إعادة

الملـــك محمـــد الخـــامس إلـــى العـــرش بشـــكل يثيـــر الجـــدل و السخف في آن معا ؟ رفعت الأقلام و جفت الصحف .

الفصل الثالث و العشرون

اليهود

روي لي والدي عام ٢٠٠٨م قصة غريبة حدثت له عام ١٩٧٥م و هو على متن طائرة تابعة للخطوط الجوية الجزائرية عائدا إلى أرض الوطن حاملا معه بكل فخر شهادة البكالوريوس في الإقتصاد من جامعة الجزائر عندما تحدث مع رجل أعمال الماني يدعى هانز شيبمان يعمل في مجال تطوير العقارات كان يجلس في المقعد المجاور له ليكتشف مصادفة أثناء الحوار أنه يهودي الديانة (هل أنت يهودي ؟)

(أي نعم)

(ويحك ، كيف تجرؤ على البوح بهذا الأمر أمام الجميع ؟)

(و ماذا في ذلك ؟)

(هل جننت يا رجل ؟ أتريد من في الطائرة أن ينقضوا عليك دون رحمة أو شفقة لمجرد أنك يهودي و إسرائيلي في الوقت ذاته؟ .....)

(هدئ من روعك يا عزيزي ، لا داعي لأن تستشيط غضبا مني لمجرد أني يهودي ..... صحيح أنني يهودي لكني لست

إسرائيليا أو صهيونيا ، فكلاهما أكرههما كرها شديدا حتى النخاع)

(و ما الفائدة مما تقول و جميعكم واحد ؟)

(ماذا تقصد بأن جميعنا واحد ؟)

(كلامي واضح يا سيد شيبمان ، أنتم تعلمون يا معشر اليهود أنكم تدعون كرهكم الشديد لإخوانكم الإسرائيليين و الصهاينة علانية و لكنكم تدعمونهم بالمال و السلاح في السر ضدنا ، أما يكفي أن الغرب المسيحي و على رأسهم أمريكا تحت قبضتكم تحركونهم كما يحلو لكم و كيفما شئتم ضدنا و ضد إخواننا الفلسطينيين ؟)

(ها ها ها ، و هل الأمريكيون أغبياء إلى هذا الحد حتى يسلمون مصائرهم و رقابهم لنا و نحن بهذه العقلية العنصرية المثيرة للإشمئزاز التي ورثناها من ديننا المريض و هم الذين كانوا يرفضون الخضوع لأتباع ديانة أخرى غير ديانتهم فما بالك باليهود ؟ فلو كان الأمريكيون و غيرهم من شعوب العالم تحت قبضتنا لعثنا في الأرض فسادا و حولناها إلى جحيم لا يطاق أكثر من النازيين و الفاشيين أنفسهم)

(إذن ، لماذا لا يحركون ساكنا ضدكم و ضد دولتكم إسرائيل و يقفون لها بالمرصاد و لجرائمها البشعة ضد الفلسطينيين و إخوانهم العرب و المسلمين ؟)

لأننا و إسرائيل و إخواننا الصهاينة ننفذ أوامرهم المفروضة علينا بهذا الخصوص دون أي إعتراض منا)

تقصد أنكم أسستم إسرائيل الصهيونية في فلسطين و نشرتم الخراب و الدمار و الحروب و عثتم في الشرق الأوسط فسادا بأمر منهم ؟)

(أجل ؟)

(و كيف تقبلون على أنفسكم ذلك الوضع ؟ ما الذي يجبركم على هذا ؟)

(الذي يجبرنا على ذلك أننا إعتدنا منذ فجر التاريخ حتى هذه اللحظة أن نكون خداما لأسيادنا من القوى العظمى في العالم سواء أكانت وثنية أم مسيحية أم إسلامية و كلاب حراسة خاضعة لهم حيث لا يحق لنا إمتلاك دولتنا المستقلة أو أن نكون قوة عظمى مثلهم و لا نملك مصائرنا و لا زمام أمورنا بأيدينا ، حتى نفوذنا السياسي و الإعلامي و ثرواتنا المالية بمن فيها اللوبي الصهيوني و ثروات المليارديرر روتشليد و

نظيره ماركوس سيف مملوكة لقادتهم و حكامهم بنسبة ٩٩% و لا نملك منها سوى ١% كي يضمنوا خضوعنا و ولاءنا المطلق لهم و نكون تحت سيطرتهم التامة و إلا كان مصيرنا الإبادة الجماعية لما تبقى منا ، عندما رفضنا الصهيونية أجبرونا على إعتناقها ، و عندما أردنا وطنا خاصا بنا خال من السكان أمرونا بإقامته في فلسطين وطرد سكانها الأصليين منها رغم مخالفته الصريحة لنصوص كتابنا المقدس التوراة التي تأمرنا بالعودة إلى أرض الميعاد بعد عودة عيسى عليه السلام إليها ، و عندما أردنا الإنتقام من الالمان و الروس و الإيطاليين الذين إرتكبوا مجازر بشعة يندى لها الجبين ضدنا أمرونا بأن نفرغ غضبنا على الفلسطينيين الطيبين المسالمين الذين عاملونا بمنتهى التقدير و الإحترام و العطف و الإنسانية الذي لا يوصف حيث لم يؤذوننا البتة و لو بشق تمرة ..... و غيرها من التصرفات و السلوكيات الشاذة و المريضة التي جعلتنا خداما لأسيادنا الجدد من أبناء العم سام سببها ديانتنا اليهودية المريضة التي ورثناها عن آباءنا و أجدادنا كابرا عن كابر و حولتنا إلى وحوش بشرية جبانة لا تعترف بالآخر و معزولة عمدا عن غيرها من الشعوب و

الأديـــان الأخـــرى غـــارقين فـــي منفاهـــا المظلـــم و العفـــن إلـــى يـــوم الدين) .

الفصل الرابع و العشرون

خالدة أديب

ما إن داعب نسيم منفاها اللندني الضبابي العليل شعرها الحريري من على شرفتها الفيكتورية الطراز المطلة على نهر التايمز حتى أخذت خالدة أديب نفسا عميقا و بدأت بإسترجاع شريط ذكرياتها المثيرة للجدل و المثخن بالجراح في آن معا قبيل وصولي إليها بخمس دقائق و لا سيما الفترة الفاصلة ما بين هزيمة تركيا العثمانية في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م و قيام الجمهورية التركية عام ١٩٢٣م ألا و هي حرب الإستقلال التركية ضد الإستعمار اليوناني و الإيطالي و الفرنسي و الروسي (١٩١٩-١٩٢٢م) حيث حقيقة بطلها المغوار مصطفي كمال أتاتورك المعروف بلقب الغازي (الفاتح المنتصر باللغة التركية) العارية بعدما حل مشاكل الأتراك المزمنة بحلول عديمة النفع لهم ، فضلا عن سوء تطبيقه للعلمانية شكلا و مضمونا بعدما إستبدلها بالتغريب الأعمى و قمع الحريات و التعددية السياسي عن طريق تفرده بالسلطة و نظامه القمعي البوليسي ..... و هلم جرا .

(أعذريني يا أستاذة خالدة على تطفلي في هذا الوقت المتأخر)

(لقد تطفلت و إنتهى الأمر يا مازن ، تفضل بالدخول)

(أمازلت تفكرين بتركيا حتى هذه اللحظة ؟)

(و هل لي بلده سواه ؟ إنه موطني و موطن آبائي و أجدادي قبل أن يجبرني الغازي على مغادرته بعدما وقفت له بالمرصاد و ضد إصلاحاته العبثية التي حولت بلدي من البلد الأول في الشرق إلى البلد الأخير في الغرب)

(أليس هذا الغازي الذي وقفت أنت و زملائك العلمانيين القوميين إلى جانبه و روجتم له بين إخوانكم الأتراك كي يلتفوا حوله و ينصبونه زعيما عليهم و أبا روحيا لقوميتهم الجديدة و دولتهم الجديدة بدلا من دولتهم العثمانية التي دفنوها دون أن يحزنوا لفراقها عنهم بدمعة واحدة عام ١٩٢٤م ؟)

(كنت أظنه مصلحا تنويريا عظيما سيطبق العلمانية بشكل سليم بما يتناسب مع الطبيعة الشرقية الإسلامية لشعبنا التركي و يصحح الأخطاء التي إرتكبها قادة حزب تركيا الفتاة و خلفه حزب الإتحاد و الترقي بعد إنقلابهم الدستوري ضد السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٨م لأكتشف أنه أسوأ منهم بكثير بعدما تمخضت إصلاحاته الجبارة عن فئران مشوهة تسببت في إنهيار سد مأرب العظيم)

(حتى بعدما لك و لبنات جلدتك ما كنتن تحلمن به منذ زمن طويل و أعطاكن حريتكن و حقوقكن كاملة و ساواكن بالرجال ؟)

(تقصد أنه حولنا إلى بنات هوى ساقطات يجهرن بخطاياهن أمام الملأ بلا حياء أو خجل و خادمات لسلطته القمعية التي لم ترحم أحدا بمن فيهم زوجته المنكوبة به ثريا أسوة بنظيراتنا في أمريكا و اوروبا بعدما كنا نبيلات محترمات من علية القوم حبيسات في بيوتنا رغما عنا لا نجرؤن على عصيان أهالينا دهرا من الزمن)

تركت رائدة الأدب النسائي في تركيا لشأنها بعد أدركت أخيرا ألا فائدة من إخراجها من منفاها المظلم بيأسها الحاد النابع من فقدانها الثقة التامة من عودة الديمقراطية و العلمانية الحقيقيتين في بلادها الحائرة بين لونيها الآسيوي الشرقي و الاوروبي الغربي حتى وفاتها رغم أن أبناء جلدتها قد وعوا الدرس جيدا و تمكنوا من تحقيقهما بشكل سليم و مزاوجتهما بين الأصالة و المعاصرة بغاية البراعة بعد مرور عشرة عقود من عمر جمهوريتهم الفتية .

الفصل الخامس و العشرون

الشريف حسين

من أجل إنتسابه إلى بيت رسولنا الكريم (ص) و زعامته المزيفة للعالم العربي و الإسلامي و من أجل بضعة آلاف من الجنيهات الذهبية و بشيء من السكر والشعير باع الشريف حسين وأولاده ثلاثة عشر قرنًا من عزّ الإسلام! خانوا الأمة، باعوا تاريخًا مجيدًا بتراب المال ، و مدّوا أيديهم لسيدهم الإنجليزي و سلموا ثالث الحرمين الشريفين فلسطين لهم على طبق من ذهب في خنوعٍ مخزٍ لم يعرفه التاريخ من قبل .

ولكي نغلق ملف ما يُسمى بـ"الثورة العربية الكبرى"، دعونا نكشف عن الفضيحة بالأرقام. هذه ليست أقاويل، بل وثائق من داخل مراسلات المعتمد البريطاني نفسه ، في كتاب المعتمد البريطاني إلى الحسين أخبرني الأخير بها عندما زرته في منفاه القبرصي عام ١٩٢٠م يعود تاريخها إلى شهر مارس ١٩١٧م وردت هذه المرتبات :

- ٤٠ ألف جنيه للأمير فيصل
- ٣٠ ألف جنيه للأمير عبد الله
- ٢٠ ألفًا لكل من الأمير علي والأمير زيد

– ١٥ ألفًا لحكومة مكة

– دفع علاوات سخية رفعت المبلغ إلى ٢٠٠ ألف جنيه إنجليزي شهريًا !

وفي سنة واحدة فقط، من أبريل ١٩١٨م إلى مارس ١٩١٩م قبض الشريف ٢.٥ مليون جنيه إنجليزي ! أليس هذا ثمن الخيانة ؟!

أما المؤن و المساعدات الغذائية ، فلم تكن إلا رشوة مغلفة :

* ألف كيس دقيق

* ألف كيس أرز

* ٦٠ كيس قهوة

* ٣٠ كيلو سكر

* و٥٠٠ كيس شعير للأحصنة !

و ١٣٠٠ كيس طحين للأمير زيد بالعقبة ومثله من الأرز و ٥٠ كيس قهوة و ٥٠ كيس سكر..

– وكأنهم جنودٌ في جيش الإنجل■□يز لا "ثوارًا" كما زعموا.

وفي دفاتر الضابط لورنس كتب أن كل هذه "الثورة" "كلفتنا ١٠ ملايين جنيه... وهو ما يعادل الإنفاق اليومي لبريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى..."

أي أن بريطانيا قد حصلت على العراق و الأردن وفلسطين و القدس كلها بمصروف يوم واحد للحرب العالمية الاولى !!

وسيبقى التاريخ يذكر من باع أمته، وسيسقط القناع عن وجه "الشريف" الذي لم يكن شريفًا قط ، ذلك القناع الزائف الذي حبسه بين جدران منفاه المظلم هو و أمثاله من السادة الهاشميين الغارقين في منفى آل البيت و سلالته المقدسة المزعومة إلى يوم الدين .

الفصل السادس و العشرون

ناجي العلي

ظل متأملا ساعات طوال امام لوحته الجديدة مهمومـا حزينـا لدرجة الكآبة ، فقررت أن أتدخل و اخراجه مما هو فيه (الى متى ستظل ترسم لوحات بمنتهى الحزن و الالم ، انت الوحيد من رسامي الكاريكاتير في العالم يرسم بهذه الطريقة التي تدفع القارئ الى البكاء لا الضحك ؟)

(حتى يفيقوا من غفلتهم)

(من غفلتهم ؟!! لم افهم ؟!!!)

(بل انت تفهمني جيدا يا مازن ، العرب و الفلسطينيين يزعمون بان الاستعمار الغربي هو الذي صنع اسرائيل على ارضنا الفلسطينية عام ١٩٤٨م و هم على يقين انها صنعت بايديهم و رضاهم)

(كيف ؟!!)

(خلال فترة طفولتي و عملي كرسام كاريكاتير اختلطت بالعديد من العرب و الفلسطينيين زعماء و مواطنين ، رجالا و نساء ، و قراءتي المستفيضة لتاريخ قضيتنا و أحداثها عرفت

بمـا لا يـدع مجـالا للشـك أنهـم هـم الـذين صـنعوا اسـرائيل منـذ ان ثـاروا علـى الأتـراك عـام ١٩١٦م و سـلموا بـلادي للمسـتعمرين البريطـانيين الـذين بـدورهم اعطـوا للاسـرائيليين وعـد بلفـور بانشـاء وطنـا قوميـا لهـم فيهـا و الـذي تحقـق مـرادهم عـام ١٩٤٨م ، بـل انهـم أجبـروا العديـد مـن الفلسـطينيين علـى تـرك منـازلهم و مـدنهم و قـراهم رغـم رفـض الاخيـر ذلـك ، و لـم يسـعوا الـى تحريرهـا مـن الاحـتلال الاسـرائيلي منـذ ١٩٤٨م حتـى حصـار بيـروت عـام ١٩٨٢م بغـرض المزايـدة عليهـا امـام الجمـاهير الغافلـة عـن افعالهم الدنيئة تجاهها)

(هذا اذا كانت غافلة فعلا)

(هـذا صـحيح ، فهـي غافلـة عـنهم بمـلء ارادتهـا و لا تجـرؤ على الاستيقاظ من غفلتها) .

الفصل السابع و العشرون

بدر شاكر السياب

جلست بجواره و هو ممد على أحد أسرة المستشفى الأميري بالكويت محاولا التخفيف عنه بعدما استبد مرض السل بجسده النحيل و المنهك من اوجاع غربته و معاناته (استرح أستاذ بدر ، سوف تشفى قريبا من هذا الداء اللعين بإذن الله)

(لا تتفاءل كثيرا يا نديم ، يبدو انها ستكون القاضية هذه المرة)

(أرجوك يا أستاذ بدر ، لا تكن متشائما)

(أنا لست متشائما ، انها الحقيقة ، لقد اكد لي الطبيب انني في المرحلة الأخيرة من المرض و لا أمل بالشفاء)

(لا حول و لا قوة إلا بالله ، لقد أسرفت في التدخين بشكل جنوني و أهملت صحتك كثيرا ليكون هذا المرض العضال هو خاتمة هذا العذاب ...)

(الالم الغربة و المنفى و اليأس دفعتني للغرق في وحلها الحزين)

(بدر شاكر السياب مجدد الشعر العراقي الحديث و رائد الشعر الحر في الأدب العربي الحديث يعاني من الغربة داخل وطنه و ييأس منه ؟)

(و هل تظن ان مرارة الغربة لا تنشأ إلا خارج الوطن فقط ؟ عندما تشعر أن أهلك ليسوا معك و لا يؤيدون أفكارك فهذه غربة ، عندما يقف أبناء وطنك ضدك دون وجه حق فهذه غربة ، عندما الناس و الدولة يحاربون إبداعاتك الفنية و الأدبية و العلمية فهذه غربة ، عندما تكتشف أن أبناء وطنك العراق لم يعودوا كما كانوا مخلصين لترابه الطاهر فهذه أيضا غربة)

(و هل مسقط رأسك جيكور هي جزء من غربتك القاتلة الآن ؟)

(بالعكس يا مازن ، لما إستطعت أن أتحمل مرارتها الملتهبة و جحيمها المستعر ، فجيكور هي الأمل الشافي لجروح غربتي ، و الضوء الساطع في دجى منفاي الدامس و القوة الحديدية لإشعال الإرادة و العزيمة داخل جسدي الضئيل في مواجهة طوفان الحياة الهائج ، فلولاها لما أوجدت الشعر في العراق و العالم العربي و لما أصدرت العديد من الدواوين الشعرية و المجلات الأدبية داخل البلاد و خارجها ، و لولاها

لمـــا أمنـــت حتـــى هـــذه اللحظـــة ببلـــد أســـمه العـــراق و أمجـــاده العظيمة منذ القدم الراسخ في وجداني الى أبد الأبدين) .

الفصل الثامن و العشرون

التجاني يوسف بشير

وجدته حزينا مريضا بما كان يقرأه في صحيفة الاهرام فبادره بالسؤال (فيما وجوم وجهك على هذا النحو الحزين ؟)

(كيف لا أحزن ؟ كيف لا أحزن و لا أغضب و انا أقرأ خبر إستقلال مصر عن بريطانيا عام ١٩٢٢م دون السودان ؟!! السنا أمة واحدة ذات جسد واحد ؟!! و لغة واحدة و دين واحد ؟! ....)

(أمازلت يا أستاذ التجاني يا رائد الشعر الحر في السودان تؤمن بوحدة تراب وادي النيل الى حد الان ؟!!)

(بلى و رب الكعبة ، ان وحدة مصر و السودان هو قدر السودانيين و المصريين المحتوم الذي رسمه لنا بطلها الأعظم محمد علي باشا حتى أبد الأبدين ، فلا تستغرب ان شعري الحر و مجلتاي (ملتقى النهرين) و (الفجر) مجندين للدفاع عنها بمنتهى الشراسة و البسالة)

(حتى بعد ان تخلى المصريين و السودانيين عنها اثر إستقلال السودان عن مصر و بريطانيا عام ١٩٥٦م ؟!)

(و حتى بعد الحرب الحدودية الدائرة بين مصر و السودان من أجل حلايب التي حدثت العام الجاري ، عام ١٩٩٤م)

(حلايب ؟!! هل كنت تعلم ؟!! ....)

(أجل أعلم ، و لذا قلبي موجوع الى حد الإنفجار مما جرى ، بل ان هذا الخبر الذي نشرته الأهرام المصرية أهون بكثير منه ، فعلى الأقل الملك فؤاد لم يتخل عن السودان أبدا و قبل بإقامة النظام الفيدرالي معه ، و لكن ماذا عساي ان أفعل ؟ لقد باتت وحدة البلدين العريقين بحضارتهما في بلد واحد هو قدري الذي أؤمن به رغم نوائب الأيام و نكباتها و حلمي المستحيل و مرضي الراضي بآلامه الموجعة و سمها الزعاف)

.

الفصل التاسع و العشرون

لطفي جعفر أمان

بينما كنت أشرب الشاى مع الشاعر اليمني الكبير لطفي جعفر أمان الذي كان يقرا مجلته باهتمام بالغ فيفاجأ بضحكاته الخفيفة يعلو هديرها برزانة و وقار (عفوا أستاذ لطفي ، ماذا وجدت في مجلتنا أضحكك بهذا الشكل ؟!!)

(مقال كتبه أحد زملائك عني ، حيث يعتبرني رائد الرومانسية الثورية اليمن ، و لا تريدني ان أضحك ؟!)

(و لكن زميلي لم يخطئ في ذلك ، فأنت فعلا رائد الرومانسية الثورية في بلادنا بل و المؤسس الفعلي لها في الأدب اليمني الحديث)

(عن أي رومانسية ثورية تتحدث ؟!! و أين ؟!! في بلادي التي تعج بالعنف و البلاهة ؟!!)

(أنا لم أفهم)

(أنا الذي أريد ان أفهم ، ماذا جرى لليمنيين ؟! لما أصبحوا قساة القلوب و سيئوا الطباع و متلبدو الأحاسيس و يعشقون التفرق و التشرذم و العنف و التعصب و التخريب لأتفه

الأسباب و حمل السلاح خوفا من الآخرين ، و ضد من ؟! بعضهم البعض ؟!!)

(الآن فهمت مقصدك يا أستاذ ، و على ما يبدو أنك عرفت بأمر الحرب الدائرة بين الشماليين و الجنوبيين خلال العام الجاري)

(ما حدث في حرب صيف ١٩٩٤م بعد مرور أربع سنوات على قيام الوحدة المباركة بين المتحاربين أنفسهم لخير دليل على صحة ما أقول ، سيما و انه جزء من كل)

(جزء من كل ؟ كيف ؟)

(اعني انه امتداد لسلسلة طويلة من الحروب الأهلية السخيفة لأتفه الأسباب في الجنوب و الشمال سواء قبل التحرر من الاستعمار البريطاني و إسقاط النظام الامامي او بعد زوالهما ، كنت اعتقد ان هذه الرذائل و السيئات التي مرغت شرف اليمنيين في التراب ان وجودها عابر و قابل للزوال بسرعة مع تحررهم منها عبر التعليم و الثقافة العصرية المستنيرة كما حدث في مصر و العراق و سوريا و السودان التي تعلمت فيها ، لأكتشف انها أشجار خبيثة جذورها راسخة في عقولهم قبل قلوبهم الى الأبد بعدما تلوثت و تعفنت بثمارها السامة)

(هه ، على أساس ان الأيمان يمان و الحكمة يمانية)

(هذا هو المفترض ان يكون ، و لكن لا حياة لمن تنادي) .

الفصل الثلاثون

عبدالسلام عيون السود

ما ان وضعت كوبا من الشاي امام الشاعر السوري عبدالسلام عيون السود حتى رايته شارد الذهن الى حد الغرق في قعر مياهه الوهمية ، فحاولت انتشال عقله منها (الن تشرب الشاي معنا ؟!)

(لا رغبة لي ، شكرا)

(الهذا الحد يشغل تفكيرك و يجعلك شارد الذهن هكذا ؟)

(الى حد لا يطاق)

(لا يطاق ؟! لم افهم)

(انها الغربة يا نديم ، الغربة ، مازالت تؤرقني و تقض مضجعي الى حد الان)

(تقصد غربتك في أمريكا الجنوبية مطلع القرن العشرين ؟)

(ليس هذا فحسب ، بل غربتي في أرض الوطن)

(أرض الوطن ؟!)

(أجل ، فمنذ ان تركت مسقط راسي حمص بسوريا هربا من بطش المستعمرين الاتراك الى أمريكا الجنوبية و تحديدا البرازيل ظننت اني ذهبت الى الجنة و انتقلت من الثرى الى الثريا لما وجدته من نهضة عمرانية حديثة قلما وجدتها في بلدي قبل ان اكتشف زيفه في تعامل الناس هناك معي بشكل لا يحتمل ، و عندما عدت الى وطني بعد تحرره من نير الاستعمار الفرنسي عام ١٩٤٦م لم يعد البلد الذي اعرفه ، بل اهلها يعاملونني معاملة الغريب او بالأصح معاملة الخواجة فضقت ذرعا مما جرى لأنزوي في منزلي بريو دي جانيرو البرازيلية حتى وفاتي)

(و هذا يفسر سر تناول شعرك باستمرار اوجاع الغربة بشكل مأساوي داخل الوطن و خارجه)

(لقد جعلتني الغربة رهين المحبسين داخل زنازين هلامية رغما عني لم استطع الهروب من قبضانها الوهمية التي لم تقدر قصائدي الشعرية تحطيمها او حتى التخفيف من لظى جحيمها فاستسلمت لإرادتها صاغرة دون قيد او شرط) .

الفصل الحادي و الثلاثون

ابراهيم الحمدي

بينما كنت مستغرقا في تأملي الدقيق مرارا و تكرارا لصوري المعاد صياغتها حيث ان العديد منها يعود الى منتصف السبعينات و اكلها الاهمال المتعمد و شبع من قبل القائمين عليها رغم طابعها الرسمي الفريد من نوعه باعتبار ان صاحبها يعد رمزا عظيما من رموز تاريخ اليمن الحديث و ثورته السبتمبرية المجيدة و الذي طرق بابه على حين غرة مما اثار فزعه متقدما نحو الباب بغاية التردد و الاضطراب (مممن الطارق ؟!)

(افتح الباب و ستعرف)

(افتح الباب و سأعرف ؟!! يتكلم بثقة زائدة عن حدها و كانه رئيس الجمهورية ؟!! ...)

(هيا اسرع ، لا تجعلني انتظر اكثر من ذلك)

(حسنا حسنا ، سأفتح)

مـــا ان فـــتح البـــاب حتـــى اصـــيب بهـــول الصـــدمة ان لـــم نقـــل المفاجـــأة (انـــا لا اصـــدق مـــا اراه ؟!! ابـــراهيم الحمـــدي بشـــحمه و دمه ؟!!)

(مفاجأة ، اليس كذلك ؟)

(بالطبع ، فانا لم اتوقع قدومك اليوم)

(كان علي المجيئ اليكم و على وجه السرعة)

(الى هذا الحد ؟!)

(و اكثر)

(و ما السبب ؟!)

(مقالـــك الرائـــع عنـــي المنشـــور فـــي صـــحيفتكم الاســـبوع الماضـــي ، لقد كان بمنتهى الأمانة و الموضوعية و الانصاف)

(شـــكرا فخامتـــك علـــى هـــذا الاطـــراء ، الحكايـــة و مـــا فيهـــا انـــي قلت الحقيقة و نقلتها الى القراء فقط)

(و هذا ما كنت اريده منك ان تقول الحقيقة فحسب)

(و مـــع ذلـــك لـــم يعجـــبهم مقـــالي و تهجمـــوا علـــي ، حتـــى رئـــيس التحرير رفض نشر الحلقة الاخيرة منه)

(هـذا طبيعـي يـا مـروان ، فمـاذا كنـت تتوقـع مـن مجتمـع و شـعب ناكر للمعروف و جاحد لي ؟)

(لكـنهم كـانوا يعتبرونـك زعـيمهم الاوحـد و النبـراس الـذي يضيء الطريق لهم و وطنهم نحو مستقبل افضل ...)

(ها ها ها ، و هل صدقت هذا الهراء ؟)

(هراء ؟!!)

(اجـل هـراء ، هـراء يتشـدق بـه المنـافقين امثـالهم امـام الحـاكم و هـو متربـع علـى السـلطة و عنـدما يرحـل عنـه يقلبـون لـه ظهـر المجـن و يشـهرون و يعرضـون بـه و ينقلبـون علـى انجازاتـه المفيدة لهم و وطنهم)

(الى هذا الحد ؟!!)

(و اكثـر ، فمشـكلة شـعبنا العظـيم علـى مـر العصـور انـه لا يحـافظ علـى انجازاتـه الناجحـة و هـذا اصـعب مـن تحقيقهـا ، فالحفـاظ علـى النجـاح الـذي تعبـت مـن اجلـه لـيس بـالأمر السـهل ، و هذا الامر لا يؤمنون به البتة)

(لماذا ؟!!)

(لانهـــم لا يعجـــبهم العجـــب و لا الصـــيام فـــي رجـــب ، لا الشـــر يعجبهم و لا الخير يعجبهم)

(اصـــبت يـــا فخامـــة الـــرئيس ، بـــل انهـــم يبطـــرون بالنعمـــة و لا يحـــافظون عليهـــا ، و مـــا جـــرى لأهـــل ســـبأ كمـــا هـــو مـــذكور فـــي القـــران الكـــريم خيـــر دليـــل علـــى ذلـــك ، ســـيما و انهـــم نســـبوا زورا و بهتانـــا كـــل انجـــاز عظـــيم حققتـــه لصـــالح الـــوطن لغيـــرك و تحديـــدا الذي تامر عليك علي عبدالله صالح)

(و تســـتغرب لمـــاذا العـــن هـــذا الشـــعب النـــاكر للمعـــروف مـــرارا و تكرارا الى يوم القيامة ؟) .

(النـــهايـــة)